

منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية سلسلة دراسات - 2

دراسات شمال إفريقية

جمع وترجمة لبحوث ذات أبعاد تاريخية اجتماعية ولغوية

(الجزء الثاني)

تأليف: تادايوش ليفيتسكي
ترجمة الأستاذ: أحمد بومزكو
أعدّها للنشر وقدم لها: مومند ومادي



مقدمة الناشر

ضمن أهداف مؤسسة تاوالت الثقافية التي وضعتها على عاتقها هو: ترجمة ونشر الأعمال المهمة والمتعلقة بالتاريخ الشمال الإفريقي على العموم، والتاريخ الليبي على وجه الخصوص، ومن الأولويات التي وضعتها على عاتقها كذلك هو: ترجمة أعمال بعض المؤلفين المرموقين في هذا المجال، والتي لم يتسن لمقالاتهم أن تجمع وتنشر بين دفتي كتاب - وكانت قد صدرت على شكل مقالات متفرقة. ومن أهم من كتب في تاريخ شمال إفريقيا في العصر الوسيط هو: المؤلف والمتمزغ البولندي [تادايوش ليفيتسكي]. الذي سبق وأن نشرنا الجزء الأول من مقالاته ضمن هذه السلسلة من منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية.

تكمن أهمية أعمال [ليفيتسكي]، في كونها مركزة ومتخصصة وذات طابع علمي منهجي في البحث والمقارنة، ويعتبر [ليفيتسكي] من القلة القليلة من المستشرقين المتخصصين في المذهب الإباضي، وتاريخه في إفريقيا الشمالية، والبحوث التي ننشرها بين يدي القارئ، تتنوع من بحوث تاريخية صرفة كبحث: «جماعة المسلمين بالبصرة ونشأة الإمامة الإباضية»، أو بحث «عبادة الكباش بتونس المسلمة»، أو بحث في إثنوغرافي تاريخي بحد كالذي خصه لـ «عن بعض الأعراق الليبية الواردة في جوهانيس كوريبوس»، وتشمل المقالات المنشورة بحث في تاريخ الفرق المنشقة عن المذهب الإباضي وكذا التوزيع الجغرافي للإباضيين عبر العصور كالذي خصه في مقاله المطول في الموسوعة الإسلامية والمعنون: «الإباضية».

نرجو أن تضيف هذه التراجم إلى المكتبة التاريخية لشمال إفريقيا مزيداً من الفائدة، وخصوصاً لغير الناطقين باللغة الفرنسية التي كتبت بها هذه المقالات، وسوف ننشر

حقوق الملكية الفكرية محفوظة للناشر
حقوق الطبع والنشر والتوزيع متاحة
لكل من يستطيع طباعة ونشر وتوزيع هذا الكتاب
مؤسسة تاوالت الثقافية 2006
<http://www.tawalt.com/>

من ضمن هذه السلسلة المعنونة: «دراسات شمال إفريقية» مقالات متنوعة ومتعددة ذات أبعاد: تاريخية ودينية ولغوية واجتماعية. وبعده لغات: كالأيطالية والفرنسية والألمانية والإنجليزية.

يندرج هذا العمل الطموح في ترجمة كل الأعمال المنجزة عن تاريخ الشمال الإفريقي والتاريخ الليبي. ضمن برنامج متوسع تقوم به مؤسسة تاوالت الثقافية في برنامجها البعيد المدى للبحث في الجذور. والتعمق بدراسات علمية رصينة في موروث الأجداد.

عن مؤسسة تاوالت الثقافية

موحمد ومادي

الولايات المتحدة الأمريكية



1 - هذا المقال هو ترجمة لبحث نشر في: [مجلة الدراسات الإسلامية Revue des Etudes Islamiques]. في عددها الصادر سنة (1935م). بعنوان: [Culte du Bélier dan La Tunisie Musulmane]. لمؤلفه المتمزغ البولندي: [تادايوش ليفيتسكي Tadeusz Lewicki]. ترجمة الأستاذ: أحمد بومزكو.

من ضمن العبادات الوثنية المنتشرة بكثرة بإفريقيا الشمالية. نجد تأليه الحيوانات - أي عبادة بعض الحيوانات المقدسة - وحسب معتقدات الشعوب القديمة بالمنطقة. فإن الكبش يشكل قبل كل شيء نموذجاً لمثل هذه الكائنات التي تجسد نوعاً من القداسة. إن آثار هذه العبادة ببلاد الأمازيغ. والتي يجب مقارنتها بعبادة أمون رع² لدى المصريين. ترجع إلى عصور موعلة في القدم. ومن خلال معاينة النقوشات الصخرية الماقبل تاريخية بالجنوب الوهراني³. تظهر الأكباش مغطاة بحلقة (قرص). وفي وقت لاحق. خلال الفترة الرومانية. أورد الشاعر اللاتيني [ماكروب Macrobe] رواية مفادها أن الليبيين كانوا يرمزون إلى الإله أمون بقرون الكبش. واعتبروها بمثابة شمس آفلة (غاربة)⁴. وأخيراً. في القرن التاسع. نقل لنا الجغرافي المسلم البكري آخر المعلومات المتعلقة بعبادة هذه الحيوانات لدى الأمازيغ. وحسب ما أورده هذا الأخير فإنه ثمة في عصره قبيلة أمازيغية من جبال جنوب المغرب كانت تعبد الكبش. لدرجة أن أفرادها يتنكرون⁵ عند ارتيادهم الأسواق بالبلاد التي تتدين بالإسلام.

يبدوا هذا الأمر غريباً. إذا سلمنا بما أورده المؤرخون العرب من أن غلبة الإسلام تمت حوالي 100هـ/ 718-9م⁶. ومع ذلك يمكن تبريره. فبناء على ما أورده البكري. فإن الأمر يتعلق في هذه الحالة بعشيرة منعزلة تماماً عن باقي القبائل المجاورة التي أسلمت تماماً. غير أن عبادة الكبش لازالت مستمرة في ذروة العصر الإسلامي وكذلك حتى في عمق البلدان التي أسلمت منذ غزو المغرب.

ونعلم من خلال مؤلف قديم ذي طبيعة تاريخية وسيرية. أن هناك عبادت الكبش خلال القرن الحادي عشر حتى داخل مدينة القيروان أو محيطها المجاور.

ونقرأ في كتاب السير لأبي العباس الشماخي⁷. وهو كاتب إباضي من شمال إفريقيا

2 - Stéphane Gsell, Histoire Ancienne de L'Afrique de Nord (paris, 1914), I, 249 et n. 4.

3- Histoire Ancienne de L'Afrique de Nord, I 251-3.

4 - Histoire Ancienne de L'Afrique de Nord, I 250.

5 - أبو عبيد البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب. ص161.

6 - Histor de l'Afrique et de l'Espagne intitulée al-Bayano l-Mogrib, trduite par E. Fagnan (Alger, 1901), I, 44 : Henri Fournel, Les Berbère (Paris, 1875), I, 270.

7 - النسخة الحجرية المطبوعة في القاهرة (1301هـ) ص261. للمزيد من المعلومات عن كتاب الشماخي

(ت 928هـ) ما يلي : «قال بن سلام وأبو سعيد هو الذي أدحض حجة عابدي الكبش بالقيروان فقتلهم أبو حفص بن خزر قال : وهم المشركون عابدو الكبش».

والملاحظ فيما تقدم أن «كتاب السير» يروي هذا المقطع اعتماداً على مصدر سابق، أي من خلال مصنف لشخص يدعى بن سلام، واسمه الكامل هو بن سلام بن عمار، وهو من العرب⁸ الأولين ببلاد المغرب، وكان يعيش في منتصف القرن الثالث الهجري ببلاد توزر حيث ذكر سنة 240هـ (8م) وجهلاً منا بعنوان مؤلف بن سلام⁹، الذي يبدو أنه عبارة عن مصنف في التاريخ والتراجم، فإن الفضل يرجع إلى الشماخي في التعريف ببعض المقاطع في «كتاب السير»¹⁰، وقد ألف على الغالب بعد سنة 260هـ، بدليل أن بن سلام يتحدث فيه عن الأحداث التي وقعت خلال هذه السنة¹¹.

لنمر الآن إلى دراسة المقطع من عمل بن سلام بخصوص عبادة الكبش بالقيروان، فمما يستخلص منه:

1 - أن بقايا الوثنية مازالت موجودة بالقيروان أو في محيطها المجاور حتى عهد أبي جعفر بن خزار الذي اجتثها.

2 - أن أبا سعيد، وهو من أشياخ الإباضية كما سنرى فيما بعد هو من أهتم بهؤلاء القوم.

لنبدأ بالنقطة الأولى: فما يهمنا أولاً وقبل كل شيء هي الفترة التي قضى فيها على آخر الوثنيين بتونس، وحسب ما أورد في النص، فإن المدعو أبا جعفر بن خزار، هو من كان له الفضل في استئصال آخر عبدة الأوثان بتونس، وغالب على الظن أن هذا الشخص يطابق اسم الأمير الأغلبي أبا جعفر أحمد بن الأمير أبو عقاب خزار (-223 226هـ / -838 841م) شقيق الأمير محمد (-226 242هـ / -841 856م)¹²، وكان أبو جعفر أحمد هذا سامي المهمة.

راجع مقال المؤلف بعنوان «كتاب السير» لأبي العباس أحمد الشماخي - مع بعض الملاحظات حول أصل وتاريخ أسرة آل شماخ، ملحوظة : قد تم ترجمة هذا المقال من قبل مؤسسة تالوت الثقافية ضمن نفس السلسلة بين يديك، يبدو أن أبو في أبو سعيد زيادة من الناسخ فالاسم هو سعيد الحدائي وليس أبو سعيد.

8 - الصحيح أنه أمازيغي من جبل نفوسة وكتابه تم اكتشافه متأخراً من قبل الشيخ سالم بن يعقوب وهو مطبوع ومعروف (الناشر).

9 - اسم المصنف هو: بدء الإسلام وشرائع الدين.

10 - الصفحات 133، 135، 141، 142، 161، 162، 260، 262.

11 - كتاب السير ص261.

12 - al-Bayano I-Mogrib, I, 136-140; en-Noweiri dans l'appendice de l'Histoire des Berbère

بحيث دأب على تدبير شؤون الدولة منذ بداية حكم شقيقه¹³ ففي سنة (231هـ/845-6م) استغل ضعف شخصية أخيه، ليصبح على اثر مؤامرة مدبرة، مالكاً لتمام الدولة، ولم يترك لمحمد إلا لقب الأمير¹⁴، بيد أن هذا الاغتصاب لم يدم طويلاً، إذ في سنة (-232 233هـ/846-847/7-8م) أصبح هذا الأخير سيد الموقف من جديد، وثم إبعاد أبو جعفر إلى المشرق، إلا أنه سرعان ما توفي بالعراق¹⁵.

وهكذا فإن حملة أبي جعفر ضد عبدة الكبش، قد حدثت إما في الفترة التي كان يسير فيها شؤون دولة الأغالبة باسم أخيه (841 845-6م) أو خلال انقضاؤه على الحكم (845-6هـ / 846-7 أو 847-8م).

لا يقدم النص أي شيء يذكر عن بقايا الوثنيين بالقيروان، والراجح أنهم ينتمون إلى العنصر الأمازيغي، مثلما هو الشأن بالنسبة للوثنيين الجبليين بالمغرب الأقصى الذي ذكرهم البكري، وأنهم يستقرون بالأحرى بأحواز القيروان وليس بداخلها، كما لا يجب أن نغفل أن المدينة كانت مركزاً رئيسياً للمذهب المالكي¹⁶ خلال هذه الفترة، بفضل نشاط ومجهودات أسعد والقاضي سحنون.

وهكذا، فبالرغم من عدم خلو المنطقة من الفرق الضالة كالمسيحيين¹⁷، فإن تواجد عنصر وثني إلى جانب المالكية المتعصبة يبدو أمراً لا يمكن تصديقه بخلاف ما يقع في أحواز القيروان.

ولا نتفق مع رأي [م. فندرهيدين M.Vonderhyden] الذي يزعم أن أحواز القيروان تعربت تماماً كما هو الشأن بالنسبة للهضبة الوسطى التونسية، وأصبحت مالكية زمن الأغالبة، واضطر بذلك الأمازيغ المنشقين إلى مقاطعتهم¹⁸.

إن فرضية [م. فندرهيدين] تركز على المصادر المالكية الإسلامية التي لا تذكر أي شيء على الإطلاق عن أمازيغ الجزء الأوسط من تونس، إلا أنه عند بحثنا في المصادر الإباضية

I, 414-419 : M. Vonderheyden, La Berbère orientale sous la dynastie des Benoûl-Agllab (Paris, 1972), note et 214.

13 - al-Bayano I-Mogrib, I, 137 ; en-Noweiri, 415.

14 - al-Bayano I-Mogrib, I, 133-140 ; en-Noweiri, 415-419; La Berbère orientale 189-190 note et 214.

15- al-Bayano I-Mogrib, I, 140 ; en-Noweiri, 419; La Berbère orientale 190 note 214.

16- La Berbère orientale 132-139.

17 - La Berbère orientale 67.

18 - La Berbère orientale 65.

بالمغرب. وخاصة أعمال الشماخي والوسيانى¹⁹. نجد أن افتراضات [م. فندرهيرون] غير مقبولة.

وفي الواقع، فإن المؤلفين المذكورين يشيرون خلال هذه الفترة إلى عدد من البطون الأمازيغية التي اعتنق معظمها المذهب الإباضي، ويستقر معظمها بالأحواز المباشرة للقيروان وكذلك إلى الشرق منها من جهة السبخاء (حالياً سبخة سيدي الهاني) حيث تقطن الأمازيغية الإباضية نفوسة، هواة، وزناتة المجتمع حول مركز يدعى بطن المرج²⁰. وإلى الشرق من القيروان بسوق الأحد²¹ نجد جمعاً إباضياً، وهو من الأمازيغ على الأرجح. ونفس الشيء بالنسبة لجبل وسلات البعيد بمسافة يوم إلى الغرب من القيروان، الذي يحتضن ساكنة أمازيغية إباضية مهمة ومستقلة عن السلطة المركزية²². ويشكل هذا المكان موطن الفرع الإباضي الشديد البأس من قبيلة مزاتة والمعروف في الحوليات الإباضية تحت اسم «مزاتة القيروان»²³ وقد حمل عدد من مشايخ الإباضية خلال القرن السادس الهجري نسبة «الوسلاني المزاتي»²⁴.

وإلى الجنوب من المدينة، وبمديرية تدعى الساحل (على بعد مسيرة يوم فقط من القيروان) يستوطن فرع قوي من إباضية نفوسة، يبلغ تعداده آنذاك 1000 محارب. وفي وقت لاحق كذلك التقى بها الشيخ الإباضي من جفان بإقليم طرابلس 300 من النساء الوردعات التقيات²⁵. لذلك فإن السكان الأمازيغ الإباضيين يشكلون بها نسبة مهمة. والملاحظ أن جميع التجمعات الأمازيغية بأحواز القيروان: نفوسة، هواة، زناتة ومزاتة تنحدر أصولها من إقليم طرابلس²⁶. وغالباً على الظن أن أغلبية هذه البطون تتشكل

19 - حول هذا الكاتب الذي كان يعيش حول القرن الثامن أنظر: T. Lewicki, Quelques textes inédits : en vieux berbère. Revue des Etudes islamiques, 1934, 276-278. من ضمن مجموع المخطوطات بحوزة جامعة Lwow توجد نسخة من سير الوسيانى تحمل رقم 277.

20 - كتاب السير ص261-260.

21 - كتاب السير ص260.

22 - كتاب السير ص392.

23 - كتاب السير ص37.

24 - نجد بعض الأمثلة في حولية الوسيانى (مخطوط Lwow) المنصور بن عبد الغنى الوسلاني المزاتي (82) أبو زكرياء يحيى بن جعفر الوسلاني المزاتي (ص8-87) أبو الربيع سليمان بن خلف الوسلاني المزاتي ص 98.

25 - الوسيانى ص56 وكذلك خلال القرن الخامس الهجري كان الأمازيغ يستقرون بكثرة بأحواز القيروان (كتاب السير ص392).

26 - على سبيل المثال: كان النفوسيون يستقرون في طرابلس في فترة الغزو الإسلامي l'Histoire des

من بقايا أمازيغ طرابلس المكتسحين لهذه البلاد صحبة الإمام الإباضي أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري. ومن المعلوم أن هذا الأخير تمكن من الاستيلاء على القيروان سنة 141هـ/975م على أثر تغلبه على معتنقي المذهب الصفري من قبيلة ورفجومة الذين كانوا يتحكمون في زمام الأمور بهذه المدينة في ذلك الوقت²⁷. وعلى هذا الأساس، أضحت القيروان مع إفريقية كلها إقليمياً تابعاً للإمامة الإباضية التي كان مركزها بطرابلس. وفي سنة 144هـ/761م، سحق أبا الخطاب من طرف القائد العباسي بن الأشعث، وانهارت بذلك دولته²⁸. إلا أن القبائل التي كانت تعاضده، بقيت وفية للمذهب الإباضي.

أما بخصوص نفوسة، فإن فرعاً مهماً من هذه القبيلة الأمازيغية قد استقر في جنوب القيروان حوالي نهاية القرن الثاني الهجري أو بداية القرن الثالث الهجري على عهد الإمام الإباضي عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم²⁹ بتيهت.

إجمالاً، فضمن هذه القبائل الأمازيغية الإباضية المستقرة بأحواز القيروان والمستقلة عن حكم الأغالبة، يجب البحث عن آخر المنتهين إلى عبدة الكبش لدى الأمازيغ القدماء الذين يستقرون بلا شك بجانب الإباضيين. وهذا ما يبين بالتحديد دوافع اهتمام العالم الإباضي أبا سعيد بهؤلاء القوم، مشجعاً الجدل الفقهي معهم. وقد سماه الشماخي سعيد الحدائي، ووصفه بالقاضي الإباضي ومفتي القيروان³⁰. وحسب مقطع من مؤلف بن الرقيق الوارد في «كتاب السير»، فإن هذا العالم الإباضي المسمى سعيد بن الحدائي مازال حياً سنة 275هـ/888م زمن عزل أبي العباس بن طالب قاضي إفريقية³¹.

Berbère I, 226-7 ونفس الشيء بالنسبة لهوارة. وكان المزاتيون يستوطنون إقليم طرابلس أثناء حملة عقبة بن نافع سنة 46 هجرية 666-667 ميلادية راجع في ذلك وصف إفريقية للبكري ص35 ترجمة. 27- سير أبي زكريا ص34-24.

Fournel, Les Berbères I 355 - 356

28 - سير أبي زكريا ص34-40.

Fournel, Les Berbères I 358- 362

29 - الوسيانى ص75.

30 - كتاب السير ص260-261.

31 - كتاب السير ص261.

جماعة المسلمين . بالبصرة ونشأة الإمامة الإباضية³²



32 - هذه المقالة هي عبارة عن ترجمة لمحاضرة بعنوان : [La djamaat al-Muslimin de Basra et les origines des Imamats Ibadites] ألقاها الأستاذ المتمزغ البولندي: [تادايوش ليفيتسكي Tadeusz Lewicki]. وذلك بمدينة بني يسقن في أمسيتين خاصتين وذلك في غضون شهر مارس 1985. ترجمة الأستاذ: يوسف اطفيش.

القسم الأول:³³

حسب الخبر الإسلامي المأثور - الذي ضبطه المحدث والمؤرخ العربي أبو مخنف الأزدي وذلك حوالي منتصف القرن الثاني الهجري (منتصف القرن الثامن الميلادي) - فإن ظهور الإباضية وقع عام 65هـ (484/85م) حين انفصل عبد الله بن أباض عن الخوارج المتطرفة. إلا أن نشأة المذهب تبدو في واقع الأمر أقدم من ذلك بسنوات، فينبغي في نظرنا ربط «ما قبل تاريخ» الإباضية بفرقة القعدة «الخوارج» تلك التي نشأت بالبصرة حوالي منتصف القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) حول عظيم من عظماء «الخوارج» الاعتباريين أعني أبا بلال مرداس بن أدية التميمي. وتعد الآثار الإباضية أبا بلال من رواد المذهب بل من أئمة السابقين. ويبدو أن لهذه الآثار الإباضية جانباً مرموقاً من الصحة لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار وجود أمثال جابر بن زيد المنظم الحقيقي للمذهب وأمثال الوليد العبدي أحد رؤساء الخوارج المعتدلة الذين انفصلوا عن نافع بن الأزرق (منشئ فرقة الأزارقة من الخوارج المتطرفة). إن دعوة أبي بلال من جانب آخر - ولا سيما حرمة الاستعراض - تكاد تساير تمام المسايير كل النظريات الإباضية ؟

وبعد خروج أبي بلال على الأمويين ووفاته عام 61هـ (680/81م) آلت رئاسة الخوارج المعتدلة بدون شك إلى عبد الله بن أباض حين اعتزل بصفة نهائية فرقة الأزارقة عام 65هـ. وكان المتطرفون من الأزارقة قد أعلنوا الخروج على عبد الله بن الزبير الخليفة المنافس للأمويين وغادروا البصرة، بينما يستقر رأي عبد الله بن أباض بعد مهلة تردد على القعود بها هو وأصحابه.

وبذلك تستهل أول حقبة في تاريخ الإباضية يجوز أن تدعى بعصر الكتمان. ولم يبلغنا من أخبار عبد الله بن أباض إلا النزر القليل. فهو يعد أول فقيه للمذهب على حد تعبير كتب الإباضية (أعني منها خاصة السير العمانية). وكثيراً ما تدعوه نفس المصادر إمام التحقيق وإمام المسلمين أو إمام القوم. ولقب الإمام في نظرنا لا يصدق

33 - ثمة تغيير طفيف في صيغة المقال بحيث ينتقل من صيغة المخاطب المباشر على شكل محاضرة إلى صيغة المقال لكي يتناسب مع الكتيب بين يديك. هذا ويجب التنبيه على أن المحاضرة تناولت تاريخ جماعة المسلمين بالبصرة ونشأة الإمامات الإباضية بحضرموت واليمن وعمان والمغرب. واعتمد المؤلف على المصادر الإباضية أمثال تأليف أبي زكرياء والشماخي والبرادي والدرجيني والسالمي وكذا السير العمانية - والمصادر العربية السنية والمؤلفات الأوروبية الحديثة أيضاً.

عليه إلا لنشاطه خلال فترة قصيرة من الزمن ولمشاركته في الدفاع عن المدينة المنورة ضد الأمويين عام 64هـ (84-683م) ولعل الأوجه أن يعتبر لقب الإمام إشارة إلى وظيفة رئاسية له في شبه حكومة إباضية (تيوقراطية) سرية تشكلت بالبصرة تدعى جماعة المسلمين. وتكون هذه المنظمة مجلساً يضم عدداً من أبرز الشيوخ. يجوز تشبيهه بمجلس العزابة لإباضية شمال إفريقيا. وإذا استثنينا النشاط في تلك المساهمة لحماية المدينة المنورة وجدنا عبد الله بن أباض دوماً لا يحيد عن الاعتدال والهدوء ويرجع على الراجح علة قعوده ذلك إلى أمل راسخ في نفسه أن يهتدي يوماً إلى عقد اتفاق مع الخليفة الأموي الجديد عبد الله بن مروان الذي ملك من 65 إلى 86هـ (685/705م) ولقد نجح فعلاً في الاتصال بالخليفة عن طريق المراسلة فاحتفظت لنا كتب السير الإباضية بنصيحتين أو رسالتين (من عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان) تشهدان بروابط الود بينهما وتبدو إحدى الرسالتين عبارة عن رد له لكتاب صادر إليه من عبد الملك بن مروان بواسطة رسول يدعى سنان بن عاصم. وهذا الأثر نستخلصه من كتب البرادي والشماخي والسير العمانية (للمؤلف المجهول). وتبقى الرسالتان على عرض وجيز - الأول من نوعه - لمبادئ المذهب الإباضي. وقد عالج هذه المراسلة بالدراسة العالم الإيطالي المعروف الأستاذ [ريناتشي R. Rubinacci]³⁴ في مقال له سنة 1954. أما الشماخي فيضيف من جهته أن لعبد الله بن أباض تأليف آخر في مناظرة الخوارج المتطرفة.

كما أننا نجهل تاريخ وفاة عبد الله بن أباض. وغاية ما نضبطه فإنه يعد في السير الإباضية من الطبقة الثانية من علمائهم الذين نبغوا خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري. وروى الشهرستاني (صاحب كتاب الملل والنحل) المشهور من أهل القرن الثاني عشر الميلادي وكذا عماد الدين القزويني الجغرافي من القرن الثالث عشر الميلادي أن عبد الله بن أباض كان ليزال على قيد الحياة طاعن في السن أيام آخر خلفاء الأمويين مروان بن محمد (أي بين 744 و750م). إلا أننا لا نطمئن لهذا الأثر تمام الاطمئنان.

ثم واصل بالبصرة جابر بن زيد الأزدي أعظم فقهاء المذهب الإباضي والمحدث الجليل وخليفة عبد الله بن أباض نفس السياسة إزاء الخلفاء الأمويين ويعتبر مؤلفو أهل السنة جابر بن زيد الذي يرجع أصله إلى قرية عمانية من أعمال نزوي (بفتح أول أو كسره) وفقاً لما جاء في السير العمانية وفي معجم البلدان لياقوت الحموي من أبرز «خوارج» العصر الأول. وقد ولد جابر بن زيد على الراجح سنة 18هـ (639م) بينما حصل تردد في تاريخ وفاته

34 - ملحوظة: تعكف مؤسسة تالوت الثقافية على ترجمة كل مقالات هذا العالم عن اللغة الإيطالية وسوف تخرج ضمن نفس السلسلة.

عام 93هـ (711/12م). أو 96هـ (714/15م) أو 103هـ (721/22م) وكان المعاصر لعبد الله بن أباض الأصغر سناً منه على ما يبدو.

وقد أخذ جابر بن زيد العلم عن عبد الله بن عباس (بن عم الرسول عليه السلام) المشهور بمعرفته الواسعة بالحديث والمتوفى عام (67 أو 68هـ أي 687 أو 688 م). وكان جابر من أخلص أصحابه يروي عنه الأحاديث الكثيرة فيما يذكره الشماخي وياقوت الحموي. لهذه الأسباب ظل جابر بن زيد بتبحره في العلم يتمتع بتقدير بالغ من طرف المسلمين المعاصرين له جميعاً. ويذكر الشماخي بهذا الصدد إعجاب مالك بن أنس نفسه به. ويبدو أن جابر بن زيد كان المصنف لأقدم مجموعة عرفت في الحديث. وكتابه هذا الذي ينقسم إلى خمسة أبواب والذي يدعى بالديوان وهو اليوم في حكم المفقود.

ومن بين الذين أخذوا عن جابر بن زيد عدة محدثين من أهل السنة. وهو ما دعا ياقوت الحموي إلى أن يصف جابراً بأحد أئمة السنة. وكان جابر بن زيد من جهة أخرى يناظر الخوارج المتطرفة ويرسم بهذا الطريق أصول الفقه الإباضي وحدوده كما نعرفها. وهذا ما جعل المصادر الإباضية تلقيه بأصل المذهب بينما تسميه السير العمانية إمام المسلمين. وهكذا يعود الفضل إليه. لا لعبد الله بن أباض. في تنظيم المذهب. فكان من المقدر له أن يحقق السياسة التي شرع فيها عبد الله بن أباض من قبله وينجزها إزاء الأمويين لاستمالتهم إلى مذهبه.

فلقد أسعف الحظ الإباضية فعلاً طوال السنوات الأولى لرياسة جابر بن زيد الأزدي حيث فاز جابر في تأليف روابط الصداقة بين وبين والي الأموي القاهر للعراق الحجاج بن يوسف الثقفي (695-714م) وتم ذلك بواسطة كاتب الحجاج نفسه الوليد بن يزيد الخارجي في الوقت الذي كان الحجاج يواصل فيه قتال الخوارج المتطرفة. واستمرت علاقات الود قائمة، بينهما إلى ما بعد تأسيس مدينة واسط سنة 705م.

إلا أن الوضع أخذ يتوتر تدريجياً خلال السنوات الأخيرة للقرن الأول الهجري وترجع العلة في ذلك على الظاهر إلى أمور ثلاثة: إحداهما وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان وكان ميالاً إلى الإباضية كما قررنا. وثانيهما ما كان من إباضية البصرة حين شرعوا في ربط أوامر أخرى بأسرة آل المهلب من كان الحجاج يكن لهم البغض الشديد. حتى أنه أصبحنا نعد من بين أنصار الإباضية الغيورين عاتكة أخت يزيد بن المهلب نفسه. والي على خراسان الذي تم عزله بدسياسة من الحجاج وزج في السجن بأمر منه سنة 705م. كما أصبحنا نعد من بين أنصارهم امرأة أخرى تنتمي إلى نفس الأسرة الحلبية وكانت

مجاورة للحرم الشريف خلال النصف الأول للقرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي). وثمة عامل ثالث جدير بالذكر يتمثل في تصلب موقف إباضية البصرة وتغلب العناصر الثورية من بينهم. أصحاب الخروج ممن يرغبون في الانتقال من حال القعود إلى حال الشراء واحتفظت لنا كتب المذهب باسم أحد زعماء هؤلاء العناصر وهو بسطام بن عمر الضبي المدعو أيضاً باسم مصقلة. وكان قبل ذلك صفرياً من أصحاب شبيب بن يزيد الشيباني وكان بسطام ذلك فضلاً عن مواهبه الحربية متكلماً.

نتج عن نشاط أصحاب الخروج من بين الإباضية انقباض في نفس الحجاج. وكان السبب المباشر - على ما يبدو - في قطع العلاقات بينه وبين جابر اغتيال أحد جواسيس الحجاج بوحي من جابر بن زيد نفسه. ومنذ ذلك شرع الحجاج في عملية قمع شنيع ضد الإباضية. فأجلى أكبر رؤسائهم إلى عمان (أمثال جابر بن زيد). ورمى ببقيتهم في السجن. ومن بين من أودع السجن أبرز تلاميذ جابر بن زيد وخلفه من بعده على رأس جماعة المسلمين بالبصرة أعني أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وهو الذي قدر له من بعد ذلك أن يتولى مهاماً سياسية خطيرة في عهد آخر الخلفاء الأمويين.

ويرجع على الراجح أبا عبيدة مسلم إلى أصل إيراني (واسمه بالفارسية على ما ورد في كتاب الأغاني كودين أو كورين) وكان مولى لبني تميم من قبائل العرب. ولما توفي الحجاج وخلفه يزيد بن المهلب. وكان ينتمي إلى تكتل عربي متعاطف مع الإباضية. أفرج عن أبي عبيدة وبقية إباضية البصرة وعين هذا على رأس جماعة المسلمين بها. ويدعو مؤلفو الإباضية أبا عبيدة إمام المسلمين. إلا أنه يبدو. كما هو شأن جابر بن زيد قبله. أنه لا يعدو أن يكون رئيس جماعة المسلمين بالبصرة والمقدم على بقية أعضاء مجلسهم. وكان أبو عبيدة عالماً جليلاً قد صنف مجموعة أحاديث يرونها عن جابر بن زيد وجعفر بن السماك وصحار العبدي فكان الإباضية يأتون من جميع أنحاء العالم الإسلامي لأخذ العلم عنه. وكانت سياسة أبي عبيدة بادئ ذي بدء تسابير تمام المسابرة سياسة جابر بن زيد قبله في الجنوح إلى مسالمة الأمويين. وما ساعده على ذلك موقف الوالي الجديد على العراق يزيد بن المهلب حيث كان يمت إلى إباضية البصرة بقراءة متينة نظراً لأخته عاتكة الإباضية الغيرة كما أشرنا إليه سابقاً. وما لبثت أن تضاعفت آمال شيوخ الإباضية في استعطاف الأمويين حين تقلد الملك الخليفة النقي عمر بن عبد العزيز (717 - 720م). فأوفد أبو عبيدة إلى عمر بن عبد العزيز رسلاً منهم بخاصة سالم الهلالي وجعفر بن السماك الشيخ العالم البصري الذي يحمل لقب إمام المسلمين في المصادر الإباضية لغزارة علمه. وليزال الوفد قائماً عند الخليفة حين وافت المنية ابنه عبد الملك بن عمر.

ولنتنبه هاهنا إلى أن الإباضية لم يمتازوا عن غيرهم برغبة الاتصال بالخليفة النقي بل الكل يعلم أن فرقة أخرى من الخوارج يرأسهم شذوب ويقومون بديار ربيعة في شمالي العراق الحالي كانوا قد أوفدوا رسلاً لهم إلى نفس الخليفة.

ورغم جهلنا التام بما أسفرت عنه مساعي ذلك الوفد. فمن المحتمل أن يعود الفضل إليه في تنصيب إلياس بن معاوية الإباضي قاضياً على البصرة.

ثم ما فتئت الظروف أن انقلبت على الإباضية إثر وفاة عمر بن عبد العزيز سنة 725م وكان يزيد الثاني (بن عبد الملك) من بعده قليل الشغف بآل المهلب (أولئك الذين يتولون إجارة إباضية البصرة) ويمس جهلنا كل ما طرأ في حياة الإباضية طيلة السنوات العشرين بعد وفاة عمر بن عبد العزيز. وغاية ما هنالك أننا نستشف خلالها تغييراً أساسياً في موقف الإباضية بل نتوسم فيها انبعاث النزعات الثورية وزعمائها من جديد. ومن بين هؤلاء الزعماء الذين يتوقون إلى «العمل المباشر». ينبغي ذكر أبي نوح إذ ينادي بقطع كل العلاقات بصفة نهائية مع الخلافة الأموية. وكذا الخطيب المصقع أبو محمد النهدي حين يدعو الجماهير جهاراً في خطبه بجوامع البصرة إلى الخروج على والي العراق الجديد خالد بن عبد الله القسري المتوفى سنة 126هـ (743م). وكان موقف أمير البصرة القاضي بلال بن أبي بردة الأشعري (موقف من لا يبالي بالأمر) مما ساهم في انبعاث هذه الدعوة. وقد كان أبو عبيدة في البدء منكرًا لكل «عمل مباشر» ذلك أنه لازال يحذوه الأمل في استجلاب الخلفاء لصالح الإباضية. وكان يرى أن أسباب ظفر الإباضية في خروج شبيهه بثورات المنتزفة الأزارقة ضئيلة. إلا أنه بعد المشاورة هو وأعيان المذهب اضطر أخيراً إلى العدول عن رأيه لما خشى التفرقة بين إباضية البصرة وحين رغب أغلبهم في الانتقال من حال القعود إلى حال الظهور. فسلك منهجاً عملياً مخالفاً لما عهد في بقية زعماء الخوارج. فكان لا يريد للإباضية خروجاً دفعة واحدة لغرض تأسيس إمامة لهم في أي موضع كان بظاهر البصرة مقتفين في ذلك أثر نافع بن الأزرق. بل عمل عكس ذلك على استغلال مجموعة إباضية البصرة ذات العدد والثراء كقاعدة لدعوة إباضية عالمية تعم أقطار البلاد الإسلامية كلها. هكذا قرر إثارة تمردات جزئية في مختلف الأقاليم وإنشاء إمامة إباضية مثالية تقوم على أنقاض الأموية.

ولغرض إنجاز خطته. شكل أبو عبيدة مسلم شبه حكومة ثورية يتولى نفسه فيها شؤون الدين والدعوة بينما يقوم الشيخ البصري الجليل حاجب آل طائي بمهام الحرب والمالية. وأنشئ بيت مال يتمتع بموارد طائلة على ما يبدو. حتى أنه يقال أن تاجرًا إباضياً من الأغنياء يدعى أبا طاهر دفع إليه بمفرده مبلغ عشرة آلاف درهم. كما أنشأ بالبصرة

مركزاً للدراسات يقوم به أبو عبيدة في سرية تامة بتمرير تلامذته الذين يقدون إليه من أصقاع البلاد الإسلامية على مهام الدعوة قبل إرسالهم أفواجاً كحملة العلم وتعيين من يتقلد منهم الإمامة في حينه. على أن ينشر هؤلاء الحملة للعلم الدعوة في مختلف الأقطار ويعلنوا الظهور متى جمعوا عدداً لا بأس به من الأنصار.

ونقلًا عن مؤرخي الإباضية وجه أبو عبيدة أفواج حملة العلم إلى المغرب واليمن وحضرموت وعمان وخراسان.

وحظي تدبير أبي عبيدة بنجاح باهر فاتسع نطاق الدعوة الإباضية خلال الفوضى التي سادت الأقطار قبيل انقراض الأمويين ونشبت في ظرف بضعة سنوات بالمغرب وحضرموت واليمن ثورات إباضية أشد بأساً مما عهد في الأزارقة. ثورات كادت تقضي على الخلافة الأموية.

وظل إباضية البصرة من جهتهم في الكتمان متسترين بالتنقية دون أن يختلف وضعهم بانتقال الحكم إلى العباسيين عام 750م. ورغم اهتدائهم إلى كسب جوار شخصيات بارزة من بين آل العباس. أمثال عمه الخليفة المهدي (786/775م) وزوجها عبد الله بن الربيع وكذا ابنها الذي دان بالمذهب الإباضي على ما نقله الشماخي. ويبدو أن الخليفة أبا جعفر المنصور (753 - 775م) كان قبل ذلك كثير العناية بالإباضية وكان كما صار معروفاً ميالاً إلى صحبة حاجب الطائفي الإباضي.

وتوفي أبو عبيدة مسلم وحاجب الطائفي في فترة خلافة جعفر المنصور. أما ما يراه أبو زكرياء يحيى بن أبو بكر الورداني من أن وفاة أبي عبيدة مسلم كانت في خلافة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان الرستمي فرأي لا يعتمد على سند ظاهر.

وبوفاة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة أخذت جماعة إباضية البصرة تتقلص شيئاً فشيئاً. إلا أنه ليزال في عهد خليفته الروحي الربيع بن حبيب قاعدة المجلس الأعلى للمذهب الإباضي قائمة بالبصرة وأفواج حملة العلم توجه منها بينما يتولى مشايخ البصرة مركزاً للثقافة الإباضية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم حيث يقتني هذا الإمام عدداً من الكتب مبالغ ألف دينار كما يذكر السالمي. وما لبث الربيع بن حبيب وبقيه مشايخ إباضية البصرة أن تحولوا إلى عمان حيث يتخذ أبو سفيان محبوب بن الرحيل خليفة الربيع بن حبيب قاعدته حسب ما نقله مؤرخو الإباضية وأصحاب الطبقات منهم.

القسم الثاني:

بعد أن خصصنا القسم الأول من مقالنا لدراسة الدور الذي قام به المركز الهام لجماعة المسلمين بالبصرة في تنظيم المجتمع الإباضي وفي تعزيزه تحت إشراف جابر بن زيد ثم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة. ننتهي في القسم الثاني منه إلى عرض الإمامات الإباضية التي أسست في ذلك العصر (القرن الثامن الميلادي) في مختلف أنحاء الخلافة بفضل جهود أبي عبيدة خاصة.

فأقدم إمامة أنشأها الإباضية هي إمامة حضرموت واليمن. غير أن ظهور الإباضية بجنوب الجزيرة العربية كان قد حصل في ظروف يكتنفها الغموض. فينبغي ربط ظهورهم هنالك بحادثة استيلاء «الخوارج» على جنوب الجزيرة بين (685 و692م). إذ لو اعتمدنا على ما كتبه الجغرافي العربي بن حوقل (من النصف الثاني للقرن العاشر الميلادي) فإن عبد الله بن أباض أول زعيم للإباضية قد ارتحل إلى تلك البقاع حيث توفي. ولم يستمر نفوذ «الخوارج» طويلاً بجنوب الجزيرة إلا أن النزاعات «الخارجية» ظلت سائدة هنالك بعد انقراض ذلك النفوذ سنة (692م). حتى آل الأمر آخر أيام الأمويين إلى نشوب ثورة جديدة إباضية دبرت خطتها بالبصرة بترأسها عبد الله بن يحيى الكندي الملقب بطالب الحق والذي كان يتولى القضاء بحضرموت من قبل الوالي الأموي. وكان عبد الله بن يحيى تقياً شديداً بالبأس قد أقنعه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بوجود الخروج على الحكم الأموي فخرج في الأيام الأخيرة من سنة 127هـ. أو على الأرجح في مستهل سنة 128هـ (745/744م) وندب إليه أبو عبيدة عدداً من الشخصيات الإباضية البارزة من أهل البصرة يعينونه في إنشاء إمامة بحضرموت فبايعوا إثر وصولهم عبد الله بن يحيى على رأس أول إمامة إباضية عرفت في التاريخ. واستولى الثوار على عاصمة حضرموت ثم على صنعاء باليمن عاصمة جنوب الجزيرة كلها سنة 129هـ (746/747م). ثم اتجه عبد الله بن يحيى نحو الحرمين ففتح مكة بدون أي مشقة ثم استولى على المدينة المنورة بجيش لا يتجاوز تسعمائة أو ألف مقاتل بقيادة أبي حمزة الشاري. فأصبح الإباضية بالحجاز عندئذ خطراً مباشراً يحدق بسوريا مقر الخلافة الأموية مما دفع مروان بن محمد إلى التصدي سريعاً للعدوان. فحشد جيشاً سورياً عظيماً وتشبثت جموع الإباضية في لقاء قرب جورش حين قتل عبد الله بن يحيى إلا أن الجيش الأموي اضطر آخر الأمر إلى عقد صلح مع إباضية حضرموت حين بايعوا بالإمامة خليفة علي طالب الحق إلى عبد الله بن سعيد الحضرمي أحد الإباضية الكبار. وينبغي الإشارة إلى أن هذه الإمامة الإباضية لتزال قائمة في القرن الحادي عشر الميلادي وأن نفوذ الإباضية في بعض

أعمال حضرموت على الأقل لتزال حتى القرن الثاني عشر الميلادي رغم انقراض الإمامة نفسها. ولُنُشِرَ عَرَضاً إلى وجود الإباضية بجزيرة سقطرى قرب ساحل الصومال الحالي حيث يذكرهم الجغرافي العربي الحمداني (من القرن العاشر الميلادي) باسم الشراة.

وكان عمان ميداناً آخر لنشاط الإباضية بالجزيرة العربية غير أن معلوماتنا حول نشأتهم هنالك جد ضئيلة. ويخيل لنا أن حركتهم كانت شديدة الاتصال بحركات إباضية «ما قبل التاريخ» من أصحاب أبي بلال مرداس «الخارجي» نظراً إلى الإعجاب الفائق الذي يضمه أهالي عمان لشخصية أبي بلال الشاري منذ النصف الثاني للقرن الأول الهجري (السابع الميلادي). وكما يبدو لنا أن المذهب «الخارجي» العماني اكتسب طابعاً إباضياً محضاً منذ أواخر القرن الأول الهجري بفضل مساعي جابر بن زيد والعلماء الإباضية الآخرين من أهل البصرة حين أجلاهم الحجاج بن يوسف إلى عمان. غير أنه لم تتم دعوة إباضية جادة بعمان إلا خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري لما اتجهت نحوه حملة العلم من قبل أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي. فنشبت حينئذ ثورة إباضية سنة 132هـ (750م) يرأسها الجلندي بن مسعود من أحفاد إحدى الأسر الحاكمة بعمان قديماً. وبويع إماماً. وانقرضت هذه الإمامة الأولى بعمان سنة 134هـ (752/751م) إثر حملة شنّها العباسيون ثم ما لبث العمانيون أن أعادوا الكرة خلال النصف الثاني للقرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) بفضل حملة العلم الجدد الذين وجههم الربيع بن حبيب من البصرة.

فاستقرت حركة هؤلاء الحملة للعلم بمدينة نزوى المشهورة إلى يومنا هذا مقراً للإمامة الإباضية بعمان. هكذا فقد أسندت الإمامة على عمان سنة 177هـ (793م) إلى رجل من قبيلة بني يحمّد الأزديّة يدعى محمد بن عفان. وفي عهد الإمام الوارث بن كعب الخروصي خليفة بن عفان من 179 إلى 192هـ (795/808م). لجأ مشايخ البصرة إلى عمان وأصبحت هذه الأخيرة المركز الروحي للإباضية بعد البصرة.

وكان بعض رؤساء الإباضية بعمان خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) يحملون لقب الوالي أو المتقدم حين كان الأئمة الرستميون بتيهرت في المغرب يتفردون بتقليد وظائف الإمام الإباضية المعتبرة في العالم وحتى في عمان. وفي سنة 280هـ (894/983م) احتل العباسيون عمان بعد انتصارهم في موقعة قتل خلالها أميرهم محمد بن النور. إلا أن التبعية المفروضة على عمان إثر ذلك للخلافة العباسية ظلت تبعية سطحية ولم ينقطع قط في واقع الأمر نفوذ الإمامة العمانية طيلة قرون. فاستمر الأئمة بنزوى يفرضون إسرافهم على جانب من القطر العماني منذ ذلك الوقت إلى الآن.

ولنتحول الآن إلى إفريقيا والمغرب حيث قامت جماعة الإباضية مدة من الزمن بأبرز دور عرف في تاريخ المذهب الإباضي. وأول من دعا هنالك إلى المذهب شيخ من شيوخ البصرة يدعى سلامة بن سعيد (أو سلمة بن سعد) أقبل إلى القيروان في مستهل القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) رفقة الداعي الصفري عكرمة مولى بن عباس. ويبدو أن دعوة سلامة بن سعيد لقيت إقبالاً كبيراً حتى أننا نجد في طرابلس الغرب بعد مضي عشرين سنة لقدمه إليها جماعة عظيمة من الإباضية يرأسهم رجل يدعى عبد الله بن مسعود التيجيبي وينتمي إلى قبيلة ذات العزة قبيلة هواره القاطنة شرقي مدينة طرابلس. ثم آل الحكم من بعده - بتأييد نفس قبيلة هواره - إلى رجلين إباضيين يدعى أحدهما عبد الجبار بن قيس المرادي والآخر الحارث بن تليد الحضرمي. فانتشر المذهب غربي مدينة طرابلس خاصة عند قبائل زناتة ونفوسة المستقرة بالجبل الذي يحمل نفس الاسم. ويزعم بعضهم أن الحارث بن تليد قد بويع للرئاسة تحت لقب إمام الأحكام إلا أن جمهور المؤرخين يرون أن عبد الجبار والحارث كانا مشتركين في الحكم.

وأسندت القبائل الإباضية الأمازيغية الرئاسة. إثر وفاة الحاكمين في حادثة تقاتل بينهما سنة 131 أو 132هـ (748 أو 749م). لإسماعيل بن زياد النفوسي المكنى بأبي الزاجر فبويع إماماً في طرابلس تحت لقب إمام الدفاع واستولى إثر ذلك على مدينة قابس. غير أنه لم يلبث أن قتل قرب نفس المدينة في معركة بينه وبين جيوش عبد الرحمان بن حبيب الوالي العربي على القيروان. وفي عهد أبي الزاجر. ظهر رجل من الأمازيغ يدعى عمر بن يكتن كانت السير الإباضية تعتبره أول من علم الناس القرآن بالجبل. جبل نفوسة بعد أن تعلمه هو نفسه على الطريق الساحلية التي تصل بين المشرق والمغرب الأقصى.

وبعد انقراض دولة طرابلس الإباضية بوفاة إمامها أبي الزاجر إسماعيل بن زياد النفوسي ظل سكان المنطقة أوفياء للمذهب. هكذا فقد أمّ البصرة نفر من بينهم ومن بين سكان الأنحاء المجاورة لهم جنوبي تونس للتفقه عند أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي والعودة إلى أوطانهم لنشر العقيدة الإباضية. ومن بين هذه الشخصيات الأمازيغية عاصم السدراتي (أحد القادة العسكريين البارزين من بعد في أحداث سنة 153هـ أي 772م) وابن مغطير النفوسي (الذي ليزال على ما يبدو على قيد الحياة سنة 811م) وأبو داود القبلي وإسماعيل بن درار الغدامسي. أما أبو داود القبلي وإسماعيل بن درار فقد كانوا مع أبي الخطاب عبد الأعلى بن السموح مولى بني معافر (من القبائل اليمنية) وعبد الرحمن بن رستم الفارسي هم حملة العلم الأربع الذين اختارهم أبو عبيدة مسلم رئيس جماعة المسلمين بالبصرة لمهمة إنشاء دولة إباضية بين رعايا

طرابلس الغرب وعهد إليهم - احتياطاً لهم كما هو المعتاد منه - أن يجعلوا الإمامة في حينه لأبي الخطاب. وكللت مساعي حملة العلم هؤلاء بالنجاح الباهر سنة 140هـ (757م) لما بايع أعيان الإباضية بالإمامة لأبي الخطاب المعافري واستولت القبائل الإباضية الأمازيغية من هوارة ونفوسة وغيرها على جميع أنحاء طرابلس واتخذت مدينة طرابلس الغرب قاعدة للإمامة ثم دخلت القيروان العاصمة الإفريقية العربية سنة 141هـ (758م). وبفضل هذا الانتصار اتسعت دولة إباضية شاسعة الأرجاء تضم ليبيا (ما عدا برقة) وتونس وشرق الجزائر الحالية.

ثم ما لبث أن انقضَّ جنود العباسيين بقيادة محمد بن الأشعث على الإمامة الإباضية وأنهت نفوذها عند هزيمة أبي الخطاب شرقي طرابلس ومقتله سنة 144هـ (731م) فلاذت بقايا جموع الأمازيغ بالفرار إلى أعماق طرابلس وتسلسل فريق منهم إلى المغرب الأوسط. فأخذت حينئذ مراكز جديدة للعباسيين تتكون شيئاً فشيئاً بينما أقبل عبد الرحمن بن رستم أحد حملة العلم - وكان الأمير على القيروان من قبل أبي الخطاب قبل انهزامه هو أيضاً إلى غربي الجزائر - على إنشاء مدينة تيهرت قرب تيارت الحالية. فهرعت القبائل الإباضية من نفوسة وهوارة ومزاتة ولماية وغيرها للانضمام تحت لوائه. ويبدو أن شوكة عبد الرحمن بن رستم بلغت عجزها حين جعل رؤساء إباضية طرابلس أنفسهم أمثال حاتم الملزوزي يدفعون له الزكاة طيلة زمن إثر وفاة الخطاب اعترافاً له بالأفضلية. وتجدر الإشارة هنا إلى أسماء زعماء آخرين من هذا العصر أمثال عاصم السدراتي ومسور الزناتي.

وقد آل نشاط أولئك الزعماء سنة 151هـ إلى نشوب ثورة إباضية أخرى ساهم فيها صفرية تلمسان وقادها أبو حاتم الملزوزي بعد أن عقدت له إمامة الدفاع. وتفاصيل هذه الثورة مشهورة في المصادر الإباضية والسنية أهم أطوارها. فتح القيروان ثانياً وحصار طبنة بمنطقة الزاب. واستمرت الثورة بضع سنين إلى أن انهزم أبو حاتم وقتل في لقاء شرقي طرابلس سنة 155هـ (772م).

والتجأ إثر هذه الهزيمة عدد من قبائل الأمازيغ الإباضية إلى المغرب الأوسط للحاق بعبد الرحمن بن رستم. فتحول بذلك محور دفاع الإباضية بشمال إفريقيا من طرابلس إلى مدينة تيهرت. غير أن معظم بطون نفوسة وزناتة ولماية لم يغادروا طرابلس والجنوب التونسي. وبعقد الإمامة لعبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ (776م) شرع أئمة تيهرت في تعزيز نفوذهم على الإباضية أجمع. وبلغ المذهب الإباضي أوج عزه أيام الإمامين عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (823/748م) وابنه أفلح من بعده (إلى حوالي 872م) حين

جدَّ عبد الوهاب في توحيد كلمة الإباضية كلهم أو يكاد وفي ضم أقطارهم من تلمسان حتى حدود طرابلس الشرقية إلى دولة واحدة تنقسم إلى قسمين أصليين. وكان يفصل بين القسمين ملكة الأغالبة المحاصرة شمالي تونس وشرقي الجزائر الحالية. وليست ثمة سبيل إلى العبور من القسم الغربي حيث تزدهر العاصمة تيهرت إلى القسم الشرقي للإمبراطورية إلا عند مضيق يصل بين الزاب والجنوب التونسي من قفصة وبلاد الجريد لسلسلة جبال مطماطة. ولم يهتد الأغالبة إلى فك الحصار المفروض عليهم واحتلال المضيق. أعني عمالات قفصة والساحل التونسي وبلاد الجريد. إلا سنة (839م). وبانتصار القائد الأغلبي عيسى بن ريان الأزدي على الجنوب التونسي ومحق النفوذ الإباضي به وقع الفصل نهائياً بين قسمي الإمبراطورية الإباضية بالمغرب.

أما خارج شمال إفريقيا فقد كانت جماعات الإباضية بالبصرة والمشرق كله - وبسبب اعترافهم بسيادة عبد الرحمن بن رستم وخلفائه - يؤرخون بأسمائهم كتبهم ووصاياهم. ولا غرو أن هذا الاعتراف جعل الأئمة العمانيين خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) يضمون إلى أسمائهم لقب الوالي أو المقدم على ما أشرنا إليه سابقاً.

وأخذت الدولة الرستمية شيئاً فشيئاً في الانحلال حوالي النصف الثاني للقرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) لأسباب أهمها الانشقاقات والفتن الدينية والسياسية كفتنة النكار وانشقاق الخليفة وانفصال بن مصالة بدولته المستقلة قرب تيهرت وغير ذلك. ومن أسباب الانحلال حيز الأغالبة بين القسمين الشرقي والغربي للإمبراطورية. ثم ما لبث أن انعدم نفوذ الرستميين بطرابلس الغرب كلها ما عدا إقليم الجبل وذلك إثر انتصار شوكة القبيلة الأمازيغية الإباضية الداعمة للرستميين بجنوب تونس وطرابلس. قبيلة نفوسة أمام الجيش الأغلبي بواقعة مانو (على الساحل بين مدينتي طرابلس وقابس) سنة (896م). وظلت بعد ذلك بقايا الدولة الرستمية قائمة إلى أن قضى عليها جيوش أبي عبد الله الشيعي سنة (909م) وأقيمت على أنقاضها وأنقاض الأغالبة وبني مدرار سجلماسة دولة جديدة ذات الطول «الدولة الفاطمية». وعند دخول الجيش الفاطمي تيهرت انسل آخر الأئمة الرستميين أبو يوسف يعقوب هارباً رفقة أفراد عائلته وأعظم علماء تيهرت ووجوهها ميممين جآه أقصى أقاليم الدولة التيهرتية جنوباً نحو سدراتة (في واحات وارجلان) حيث جعلوا يترددون زمناً في إعادة الكرة وإعلان الإمامة الإباضية بتلك الأصقاع. ثم أزمعوا العدول نهائياً عن الأمر لاسيما وقد أنشئت في نفس الظروف «إمامة» إباضية بالجبل «جبل نفوسة» وأعني بذلك رئاسة أبي يحيى زكرياء الأرجاني.

ويحمل أبو يحيى هذا لقب الحاكم أو الإمام المدافع في المصادر الإباضية. واستمر حكم الأرجاني طيلة خمس عشرة سنة بمقره بالجبل. وعلى هذا يكون مثال الأرجاني المثال الأوحى لزعيم إباضي وهبي حمل على ما نعلم لقب الإمام بشمال إفريقيا بعد انهزام إمامة بني رستم. ولم تتجاوز سلطة أبي يحيى جبل نفوسة وإن سعى في إبقاء إقليمه مستقلاً عن حكم الفاطميين ووفق لذلك. وبعد وفاة أبي يحيى زكرياء الأرجاني استمر الحكم (ومن بعدهم الشيوخ) الإباضيون بالجبل يتمتعون بشبه استقلال حتى القرن الرابع عشر الميلادي.³⁵



35 - هذا وإنني - وفقاً لما رسمته لنفسني في عنوان محاضرتي - أدع جانباً تاريخ الإباضية بشمال إفريقيا في الفترة التي تمتد إثر انقراض الدولة الرستمية بتاهرت، محيلاً قرائي الأعزاء إلى دراساتي الكثيرة حول الإباضية بشمال إفريقيا وإلى المقال الجامع الذي أفردته للموضوع في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة «الإباضية». وأحيلهم كذلك على عدد من الدراسات ذات الأهمية التي ألفها العلماء الإباضية والمستشرقون الآخرون. وأخص بالذكر من بين هؤلاء المستشرقين دي كلسانتي موتيلنسكي وسموغورفسكي.

الإباضية³⁶



36 - هذا المقال عبارة عن ترجمة لمدخل في: [الموسوعة الإسلامية Encyclopedie de l'islam] مادة: [الإباضية Al-Ibâdiyya] لمؤلفه الأستاذ المتميز البولندي: [تادايوش ليفيتسكي Tadeusz Lewicki]. ترجمة الأستاذ: يوسف اطفيش.

الإباضية: إحدى فرق الخوارج الهامة التي تُجد اليوم ممثلين لها في عمان. وإفريقيا الشرقية. وطرابلس (جبل نفوسة، زوارة) وفي جنوب الجزائر (ورجلان، وميزاب). وتسمية هذه الفرقة جاءت من قبل أحد مؤسسيها - كما يقال - وهو: عبد الله بن أباض المرى التميمي. إن الصيغة المستعملة عادة لهذه التسمية: الإباضية (بفتح الهمزة) ويمكن ملاحظة ذلك، ليس فقط بالنسبة لشمال إفريقيا حيث أكد على هذه الصيغة منذ بداية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) الكاتب الإباضي البرادي في «كتاب الجواهر المنتقاة»³⁷. غير أن الإباضيين المعاصرين الآخرين يستعملون عادة الصيغة الأولى أي بكسر الهمزة على أنها الأصح³⁸. ونعرف كذلك صيغة أخرى لهذه الكلمة وهي: أباطة³⁹.

وحسب نيوبهر⁴⁰ فإن إباضية عمان يحملون أيضا اسم: بياضي أوبياضي⁴¹. ويبدو أن هذه التسمية الأخيرة (بياضي) يجب تقريبها من المبيضة، وهي التسمية المعطاة للخوارج بصفة عامة⁴². ويعطي الإباضيون أيضا لأنفسهم طواعية اسم: الشراة، الذي يعني خاصة الخوارج الأولين أو القعدة⁴³.

وطبقاً للعرف المتبع في منتصف القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي حسب رأي أبي مخنف، فإن ظهور هذه الفرقة، كان في سنة 65هـ (5-684م) عندما انفصل عبد الله بن أباض عن المتطرفين الخوارج بمناسبة الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه أهل التوحيد الآخرين⁴⁴. ولكن الحقيقة هي أن الجذور الإباضية تبدو أقدم مما يعتقد العلماء المعاصرون بكثير.

37 - طبعة القاهرة 1302هـ ص155. وأيضاً بالنسبة لعمان [نيبوهر Niebuhr]. رحلة في الجزيرة العربية» الترجمة الفرنسية 1780م ص198-11.

38 - ينظر مثلاً: محمد بن يوسف طفيش الميزابي في «الرسالة الشافية في بعض التواريخ» الجزائر بدون تاريخ ص49.

39 - ينظر: الحمداني في صفة جزيرة العرب، طبع [د. هـ. مولر D. H. Muller] ليد 1884م، ص88-1-91.

40 - المرجع السابق، ج2 ص198، 200، 201.

41 - ينظر أيضاً - Badger [History of the imams and seyyids of Oman by Selil ibn Razik, Lon- dres 1871 p387.

42 - V. Brounow, die Chardschiten unter den ersten omayden. Seyde 1884 n30.

43 - البرادي المرجع المتقدم.

- A de C Motylinski, 175 Chronique d>ibn Saghir, dans : Actes du XIV congres intern. Des orient, Alger 1905, 81 - Ch. Anasi El yakoubi, Kitab El bouldan BGA. VII; 352.

44 - Brunnow, op.cit.60-I - Welhausen, Die religies politichen oppositionsparticien Atlen Is-lam, Berlin, 191, 28-9.

وفي رأينا، يجب إلحاق تاريخ نشأة هذه الفرقة وكذلك تاريخ فرقة معتدلة أخرى من الخوارج وهي الصفرية بهذه المجموعة من القعدة⁴⁵. الخوارج، الذي تأسس في البصرة في منتصف القرن الأول الهجري السابع الميلادي. حول أشد رجالها المعظمين من طرفهم، وهو أبو بلال مرداس بن أديّة التميمي. وتصنف كتب التاريخ الإباضية أبا بلال من بين طلائع فرقتهم⁴⁶. ويلاحظ بأن المؤلفين الآخرين يجعلون من هذا الشخص إماماً لفرقة الصفرية⁴⁷.

ووجهة النظر هذه تبدو معقولة جداً، خاصة إذا ذكرنا أن من بين أصحاب أبي بلال الخالصين يوجد عدد هام من كبار الفقهاء الإباضيين، نذكر منهم على سبيل المثال: المؤسس الحقيقي للمذهب الإباضي جابر بن زيد⁴⁸، والوليد العبدى، أحد رؤساء الخوارج المعتدلين الذين انفصلوا عن المتطرف نافع بن الأزرق⁴⁹. ومن جهة أخرى فإن المبادئ التي ينادي بها أبو بلال، مثل تحريم الاستعراض⁵⁰ متطابقة إلى حد كبير مع المبادئ الإباضية.

وبعد وفاة أبي بلال الذي ثار في سنة 61هـ وقتل بعد عام في إحدى المعارك، أصبح بدون شك عبد الله بن أباض رئيساً للمعتدلين⁵¹. بانفصاله عن الأزارقة في سنة 65هـ أعلن المتطرفون الخروج على الزبيريين، وتركوا البصرة، بينما بقي فيها عبد الله بن أباض مع أتباعه بعد شيء من التردد. وهكذا بدأت الفترة الأولى من تاريخ الإباضية التي يمكن تسميتها بالمرحلة السرية⁵². ولا نعلم إلا الشيء القليل عن عبد الله بن أباض. وحسب المؤرخين الإباضيين فهو يعتبر أول عالم في المذهب⁵³ ويسمى أحياناً في المصادر الإباضية: إمام التحقيق - إمام المسلمين أو إمام القوم⁵⁴. ونعتقد بأن هذه التسمية يجب أن تتعلق

45 - Quiétisme, Voir Brunnow, op.cit.29; Wilhansen, op.cit.29.

46 - الشماخي: كتاب السير، القاهرة 1301، ص66. البرادي: المتقدم ص167. السالمي: كتاب للمع المرضية 1326هـ. ص187.

Siyae Al-Umaniyya, MS de la Bibi, De l'unver. De Lwow n° 1082, II, 135, 6645-.

47 - ينظر على سبيل المثال:

406-11-El Isfauani dans Haarbruch Religionsparthein und philosophenschulen, Halle 1850 -

48 - الشماخي المرجع المتقدم، ص79.

49 - الشماخي، نفس المرجع.

6-Well hausen op.cit. 25 - 50

51 - وهو مذكور من بين أهم شخصيات الخوارج منذ سنة 64هـ الشماخي المتقدم ص77.

52 - البرادي: ص156.

53 - السير العمانية، ص74، 108.

54 - الشماخي: ص77، السير العمانية، ص111-108، البرادي، ص155.

Ph. Hitti, Albaghdadi's charaderisties of muslim sects, Caire 1924, 87.

بالفترة التي ساهم فيها عبد الله بن أباض في الدفاع عن المدينة 64هـ لأن حالة السرية التي كان الإباضيون يعيشونها بعد سنة 65هـ تستبعد إمكانية وجود إمامة بالمعنى السياسي لهذه الكلمة.

ولعلنا نرى أيضاً في هذه التسمية إشارة إلى دوره كرئيس لنوع من حكومة تيوقراطية إباضية سرية تدعى جماعة المسلمين التي تكلم عنها مؤرخو هذه الفرقة. وهو مجلس متكون من عدة شيوخ كبار (نذكر منهم: الوليد العبدى) يمكن مقارنته بمجلس العزابة الذي أقامه إباضية شمال إفريقيا بعد سقوط إمامة بني رستم.

إن قعود عبد الله بن أباض، كان السبب فيه على ما يبدو، الأمل في إيجاد تفاهم مع الخليفة الأموي الجديد عبد الملك بن مروان 65-86هـ وقد نجح فعلاً في الدخول في مراسلات مع هذا الملك. وقد احتفظت لنا كتب الإباضية بنصيحتين أو رسالتين لعبد الله بن أباض تستشهد بعلاقتهم الودية. وإحدى هاتين الرسالتين هي إجابة من الرئيس الإباضي على رسالة كان وجهها إليه عبد الملك بن مروان بواسطة شخص يدعى سنان بن عاصم⁵⁵ وقد تكون الرسالة الأولى كتبت بعد سنة 67هـ لأننا نجد فيها ذكر إسقاط الخنار، من قبل مصعب أخ عبد الله بن الزبير الذي وقع في هذه السنة⁵⁶. وتتضمن رسائل عبد الله بن أباض عرضاً موجزاً للمبادئ الإباضية التي هي الأولى من نوعها⁵⁷. ويذكر الشماخي أن عبد الله بن أباض كان أيضاً صاحب مناظرات مع الخوارج المتطرفين.

إننا لا نعلم تاريخ وفاته، ولكننا نعلم فقط، بفضل الكتب الإباضية أنه ينسب إلى الطبقة الثانية من العلماء. وأن نظرية الشهرستاني⁵⁸ القائلة بأن بن أباض عاش طويلاً وأنه كان حياً تحت إمارة مروان بن محمد 127-34هـ (745-52م) لا تبدو لنا صحيحة.

إن السياسة التي كان يتبعها عبد الله بن أباض في البصرة، جآه الخلفاء الأمويين قد واصلها خلفه أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي. أكبر علماء الفرقة الإباضية، والمحدث الشهير. وقد اعتبر هذا العالم الذي ينتسب إلى عمان من جهة نزوى⁵⁹ من طرف المؤلفين

55 - الشماخي: ص77. البرادي: ص67-156. السير العمانية، ص445-55.

Sechan, Religiose Anschauungen der Ibaditische Mohammedoner dans, MSOS AS, II, 52, 9.

56 - البرادي: ص163. Brunnow: ص86-90.

57 - ينظر أيضاً:

Les relations d'Ibn Ibad avec Abd El Malik B. Marouan G. Rubinacci il Kaliffa Abdel Malik B. Marwan e gli Iba Ibaditi dans AIOUN. V 195409, 121-.

58 - الملل، ص100 والقرويني: العجائب، ص137.

59 - السير العمانية: ص975. ياقوت: ص4، 11، 243-4.

العرب أحد كبار الخوارج للعصر الأول⁶⁰. وقد ولد سنة 18هـ (639م) تقريباً وتوفي على الأرجح سنة 96/93 أو 103هـ⁶¹. وهكذا يكون معاصراً لعبد الله بن أباض. وقد كان جابر بن يزيد أحد أصدقاء ومن تلامذة عبد الله بن عباس الذي روى عنه عدة أحاديث⁶².

ولهذا السبب دون شك وبفضل علمه المتمكن، كان جابر بن زيد محل تقدير من طرف جميع المسلمين في عصره ويذكر الشماخي⁶³ بهذا الصدد وجهة نظر مالك بن أنس، ولعله أول من جمع كتاباً في السنة. وكتابه «الديوان» الذي يتألف من خمسة أبواب يعتبر اليوم مفقوداً. والنسخة الوحيدة لهذا الكتاب كانت موجودة في مكتبة بني العباس خلال القرن الثالث الهجري. التاسع الميلادي⁶⁴. ويوجد بين تلامذة جابر بن زيد عدة علماء سنيين. وقد سماه ياقوت أحد أئمة السنة. ومن جهة أخرى فقد كان جابر بن زيد يشترك مع الخوارج المتطرفين في مناقشات سياسية. وقد وضع بصفة نهائية أسس المذهب الإباضي⁶⁵.

ولهذا السبب تدعو المصادر الإباضية بـ «عمدة الإباضية أو أصل المذهب»⁶⁶ ويدعى أيضاً إمام المسلمين⁶⁷. وإليه يرجع أمر تنظيم الفرقة الإباضية وليس لعبد الله بن أباض على الرأي الراجح. وهكذا نرى، أن هذه الشخصية، العالم الإباضي والمحدث الشهير، الموثوق به من جميع المسلمين في نفس الوقت، قد وكل إليه القدر أن يكمل الرسالة التي بدأها سلفه، وهي استمالة الخلفاء إلى المذهب الإباضي.

والواقع أن السنوات الأولى من رئاسة جابر كانت مفيدة جداً للإباضية. فقد استطاع أن يدخل في علاقات ودية مع أمير العراق القوي، الحجاج 76-95هـ (714-695م) عن طريق كاتب هذا الأخير، الخارجي يزيد بن أبي مسلم⁶⁸. وقد وصل إلى أن تحصل منه على مرتب. هذا في الوقت الذي كان الحجاج يحارب فيه الخوارج المتطرفين. واستمرت العلاقات بين

60 - الشهرستاني: ص102.

61 - البرادي: ص155. الشماخي: ص77. السالمي: في اللمع، ص172. والسير العمانية ص686.

62 - ياقوت: ص11-156-7. الشماخي: ص70-96. البرادي ص151.

63 - المرجع المتقدم: ص70.

64 - السالمي في اللمع، ص184.

E. Masqueray chronique d>Abau Zkari Zakaria Alger-Paris.

65 - الشماخي: ص76.

66 - الشماخي: ص70 السالمي في اللمع.

67 - السير العمانية، ص111.

68 - الشماخي ص74-71. المبرد في الكامل ص56.

جابر والحجاج متازة لمدة طويلة - إلى ما بعد إنشاء مدينة واسط 6/83هـ - وقد كان حاكم العراق جَاه جابر ودياً للغاية⁶⁹.

ولكن هذه العلاقة بدأت تسوء شيئاً فشيئاً عند نهاية القرن الأول. ويبدو أن أحد أسباب هذا التغير هو موت الخليفة عبد الملك 86هـ (705م) الذي كانت له، كما سبق أن رأينا، علاقة حسنة مع الإباضية. ومن جهة أخرى فإن إباضية البصرة ربطوا علاقات مع عائلة بني المهلب التي يعتمد عليها حاكم العراق. وهكذا نجد من بين الإباضيين المتحمسين في البصرة، عاتكة، أخت يزيد بن المهلب، الحاكم السابق لخراسان الذي عزل بفضل مساعي الحجاج وسجن من طرفه سنة 86هـ. ونذكر من آل المهلب الذين اعتنقوا المذهب الإباضي: هلبية التي عاشت في مكة خلال النصف الأول من القرن 2هـ (م8)⁷⁰.

وبالإضافة إلى هاتين الواقعتين يجب أن نذكر حادثة أخرى هي أن الإباضيين المتحمسين بالبصرة الذين توجد من بينهم عناصر ثورية أخذت تتفوق. وهم أنصار الخوارج الذين يريدون أن يتحولوا من قاعدة إلى شراة. وقد علمنا من خلال كتب المذهب اسم أحد رؤساء المجموعة الثورية وهو: بسطام بن عمر بن المصيب الضبي. المدعو أيضاً مصقلة، وهو صفري قديم، ومن أنصار شبيب وقد تحول إلى المذهب الإباضي في البصرة بعد هزيمة هذا الأخير 77هـ (696م). ولم يكن فارساً ممتازاً فحسب، ولكنه كان متكلماً ويبدو أن المتحمسين من الإباضية بالبصرة قد ساهموا في ثورة عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث في سنتي 81 و82هـ (701-2م). فقد وجدنا في صفوف جيش عبد الرحمن فرقة متكونة من أهل الكوفة والبصرة يقودها بسطام بن مصقلة، وقد قتل مع جميع رجاله في إحدى المعارك⁷¹. وقد سبب نشاط هذه الفرقة المتحمسة من الإباضية رد فعل من طرف الحجاج. ولعل السبب المباشر في قطع كل علاقة بين حاكم العراق وبين جابر هي اغتيال أحد جواسيس الحجاج الذي دعا إليه جابر⁷². وقد قام بأعمال قمع شديدة ضد الإباضية. ونفى معظم رجالهم ورؤسائهم إلى عمان (نذكر من بينهم جابر نفسه وشيخاً آخر يدعى هبيرة)⁷³ أو قام بسجنهم⁷⁴ ويوجد من بين رؤساء المحبوسين من طرف

69 - الشماخي: ص74.

70 - الشماخي: ص117-88.

J. Perier Vie d>El Hadjaj Ibn youcef Paris I904.221, 232.

71 - الشماخي: ص111. فلهاوزن ص7-46.

72 - الشماخي: ص75.

73 - الشماخي: ص81-76.

74 - ينظر في هذا أيضاً: السير العمانية: ص250.

الحجاج أكثر تلاميذ جابر علماً، وهو خلفه من بعده في قيادة الجماعة الإباضية بالبصرة: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي⁷⁵. الذي أصبح بدون شك أكبر عالم، ورجل دولة من بين جميع رؤساء الخوارج المعروفين. وقد قام بدور سياسي هام في آخر أيام الأمويين.

كان أبو عبيدة، على ما يبدو، من أصل إيراني⁷⁶. وهو مولى لقبيلة عربية من بني تميم⁷⁷ درس على يد جابر بن زيد، وعلى غيره من المشايخ الإباضية المشهورين من الطبقة الثانية من جعفر بن السماك، وصحار العبدي⁷⁸. وبعد وفاة الحجاج الذي خلفه يزيد بن المهلب خرج أبو عبيدة من السجن مع الإباضية الآخرين ووضع على رأس إباضية البصرة⁷⁹. ويدعوه الإباضية بإمام المسلمين⁸⁰. ولكنه لم يكن في الحقيقة، مثل سلفه جابر، سوى رئيس جماعة المسلمين بالبصرة. والمقدم على أعضاء المجلس الآخرين مثل ضمام بن السائب وأبو نوح. وكذلك شيخه جعفر بن السماك⁸¹. وكان أبو عبيدة عالماً بارزاً وواضعاً لكتاب يضم مجموعة أحاديث منقولة عن جابر بن زيد، وجعفر بن السماك، وصحار العبدي⁸².

وكان الإباضية يفدون عليه من كل أنحاء العالم الإسلامي للأخذ من علومه⁸³. وكانت سياسة أبي عبيدة أول الأمر مطابقة تاماً للمطابقة لاجاه عبد الله بن أباض نحو التفاهم مع الأمويين. وقد شجع ذلك الموقف المتسامح الذي وقفه حاكم العراق الجديد يزيد بن المهلب، الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإباضية البصرة بسبب أخته عاتكة التي كانت إباضية متحمسة كما سبق بيانه. وتضاعفت آمال المشايخ الإباضية في اكتساب الأمويين بمجيء الخليفة العادل عمر إلى الحكم سنة 99هـ (1001م) وقد أرسل أبو عبيدة وفداً إلى هذا الخليفة يضم بخاصة سليم الهاللي والعالم: جعفر بن السماك، الذي يعرف بإمام

75 - الشماخي: ص 87.

76 - اسمه الحقيقي حسب كتاب الأغاني هو كودين ج 20 ص: 79 وحسب الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: كارزين أو كورين.

77 - الشماخي ص: 83.

78 - الشماخي، ص: 81-79.

79 - الشماخي، ص: 87.

80 - السير العمانية 111.

81 - السير العمانية، 672.

82 - Lewiki Une chronique ibadite dans REI, 1934, 1/71.

- وينظر الشماخي: ص 83، والسالمي في اللمع، ص 185.

83 - راجع عبد الله بن يحيى الباروني في رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين القاهرة 1324هـ، ص 6-8.

المسلمين في المصادر الإباضية نظراً لتقدمه في العلوم، وتكرر إرسال هذا الوفد لدى الخليفة عمر (بن عبد العزيز) عندما توفي ولده عبد الملك بن عمر⁸⁴. ونضيف هنا بأن الإباضيين ليسوا وحدهم الذين حاولوا ربط علاقاتهم مع عمر. وقد علمنا أن جماعة أخرى من الخوارج وعلى رأسهم شوذب⁸⁵ كان يحتل أرض ربيعة بالعراق قد أرسل إلى هذا الخليفة⁸⁶ ولكننا نجهل الآثار المترتبة عن هذه الوفادة الإباضية. ولعل الفضل يرجع إليها في تعيين إياس بن معاوية الإباضي قاضياً على البصرة⁸⁷. غير أن هذه الوضعية المناسبة للإباضيين لم تدم طويلاً. فقد توفي عمر بن عبد العزيز في سنة 101هـ وكان خلفه يزيد الثاني غير راض عن آل المهلب الذين كانوا يحمون الإباضية. ونحن لا نعلم الأحداث التي وقعت في حياة الإباضية بالبصرة في العشرين سنة الأولى من القرن الثاني. ولكننا نلاحظ في هذه الفترة تغيراً جذرياً في الأوضاع، واجهاها نحو الثورة. ومن بين الرؤساء للحزب الثوري الذي يميل إلى القيام بعمل مباشر. يجب أن نذكر (أبو نوح) الذي يدعو إلى قطيعة تامة مع الخليفة ونذكر أيضاً أبو محمد النهدي المشهور بالخطيب الذي يدعو جهراً في خطبه التي يلقيها في مساجد البصرة إلى الثورة ضد حاكم العراق خالد بن عبد الله. 105-20هـ (724-38م)⁸⁸. إن النشاط الذي يقوم به المتحمسون بالبصرة يشجعه الموقف اللامبالي لحاكم هذه المدينة أبي بردة الأشعري⁸⁹. وقد كان أبو عبيدة في بادئ الأمر معارضاً لكل عمل مباشر. لأنه كان يأمل، على الدوام في استمالة الخلفاء إلى المذهب الإباضي. كما أنه يرى أن فرص النجاح لخروج الإباضية، كما خرج الأزارقة المتطرفون من قبل، كانت ضئيلة جداً. ولكنه في الأخير، وبعد أن استنثار زعماء المذهب، اضطر إلى تغيير موقفه لأنه كان يخشى وقوع شقاق داخل صفوف إباضية البصرة التي تنادي أكثرتهم بالخروج من حال الكتمان إلى حال الظهور⁹⁰. وقد اتبع طريقة تخالف الطرق التي استعملها زعماء الخوارج الآخرون. وكان لا يريد أن يخرج الإباضية من البصرة لإقامة إمامة في إحدى الجهات خارج هذه العاصمة بإتباع طريقة نافع بن الأزرق. بل وعلى العكس من ذلك فقد اقتضى نظره أن يسخر الجماعة الإباضية الغنية، والكثيرة العدد في البصرة كأساس للدعاية الإباضية لكي تمتد إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي.

84 - الشماخي: ص 80-9، السير العمانية، ص 111,665,666.

85 - حول هذه الشخصية ينظر فلهوزن المرجع السابق، ص 48.

86 - المسعودي في المروج: ج 5 ص 434-5.

87 - الشماخي: ص 81.

88 - الشماخي: ص 97-88، السالمي: اللمع، ص 185.

89 - الشماخي: ص 97.

90 - الشماخي: ص 8-83.

وحاول إشعال ثورات إباضية في مختلف الولايات، وإقامة إمامة عالمية لهم على أنقاض الخلافة الأموية. ولتحقيق هذا الهدف أقام أبو عبيدة نوعاً من حكومة ثورية اختص هو فيها بكل ما يتعلق بالعمل الديني وبالبعثات، وتكلف عالم آخر من شيوخ إباضية البصرة يدعى (حاجب الطائي) بمهام وزارة الحرب والمالية، وأنشأ بيت مال وكانت الموارد المالية كثيرة جداً، فقد دفع فيه تاجر إباضي غيني وحيد على سبيل المثال 10.000 درهم⁹¹ وأنشئ بمدينة البصرة مركز للدراسات حيث كان أبو عبيدة يعد فيه سرّاً الرسل من بين تلامذته الذين يفدون إليه من جميع الولايات الإسلامية. وكان هؤلاء الرسل يبعثون فيما بعد في شكل جماعات، حملة العلم، أو نقلة العلم، وعلى رأس كل بعثة يعين أبو عبيدة الشخص الذي يرشحه لوظيفة الإمام: كما يعين قاضي المستقبل. وكان على هؤلاء الحملة أن يقوموا بمهمة الدعاية في مختلف ولايات الخلافة، وبعد أن حصلوا على عدد من المنخرطين في مذهبهم أن يعلنوا حالة الظهور⁹². وإذا رجعنا إلى كتب الإباضية فإن أبو عبيدة قام بإرسال بعثات من هذا النوع إلى المغرب واليمن. وحضرموت وعمان وخراسان⁹³ وكان لنشاط أبي عبيدة نجاح عظيم، وفي وسط الفوضى الشاملة التي سبقت سقوط الأمويين أخذت الدعوة الإباضية تمتد بشكل عظيم. فقامت عدة ثورات في عدة بلدان إسلامية خلال سنوات قليلة جداً في المغرب وحضرموت وعمان حيث كانت تهدد وجود الخلافة إلى حد يتجاوز حركات الأزارقة.

وخلال هذه الفترة من التوسع الإباضي، كان إباضية البصرة يواصلون العيش في حالة الكتمان بإخفاء عقائدهم. ولم يغير قدوم العباسيين شيئاً من هذا الوضع، هذا إذا لم نقل أنهم استطاعوا الحصول على حماية بعض الشخصيات الكبيرة التي تنتمي إلى عائلة الخلفاء الجدد، ومن بين ذلك نذكر خاصة عمّة الخليفة المهدي 158-69هـ (775/786م) وزوجها عبد الله بن الربيع نفسه 136-58هـ (753-75م) كان في فترة من الوقت متسامحاً جداً مع الإباضية. وإننا نعلم أنه كان يكن تقديراً كبيراً لحاجب الطائي⁹⁴. وقد توفي كل من أبي عبيدة وحاجب في عهد أبي جعفر⁹⁵ وأن رأي المؤرخ الإباضي الشيخ أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوردجاني والتي بمقتضاها قد يكون أبو عبيدة توفي في حياة الإمام

91 - الشماخي: ص5-114.

92 - ماسكوري: المتقدم، ص19,20,21، والشماخي: ص124، والسير العمانية ص676، والسالمي في اللمع: ص185.

93 - الشماخي: ص114، السالمي المتقدم.

94 - الشماخي: ص91.

95 - الشماخي: ص91-83.

الرستمي عبد الوهاب بن أبي عبد الرحمان 168-208هـ (785-823م) يبدو لنا رأياً لا يقوم على أساس.

وبعد وفاة أبي عبيدة، بدأت حركة إباضية البصرة في الأفول، كما لاحظته الخليفة حسبما تقوله مصادر الإباضية⁹⁶ غير أنه في عهد الربيع بن حبيب البصري الذي خلف أبا عبيدة كرئيس روعي لهذه الطائفة، ليزال المجلس الأكبر يقيم في البصرة، حيث لتزال تفد جموع أخرى من حملة العلم على هذا الإمام⁹⁷. وكان مشايخ البصرة حكماً لحركة الانفصال النكارية (كما سيأتي) في أواخر القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) وبقيت هذه المدينة مركزاً ثقافياً للإباضية طيلة عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان الذي كان يشترى منها الكتب بمبلغ ألف دينار⁹⁸. ولكن بعد قضية النكار هاجر الربيع وغيره من مشايخ البصرة الإباضيين نحو عمان التي كان يقيم فيها خليفة الربيع، أبو سفيان محبوب بن الرحيل⁹⁹.

التجمعات الإباضية خارج البصرة

أ - في الكوفة: بالرغم من نظرية (فلهاوزن) التي تقول بأن خوارج الكوفة انقرضوا نهائياً بعد مقتله سنة 59هـ (679م). إلا أن المصادر التي بين أيدينا تسمح لنا بالتأكيد على أن الإباضية اعتصموا بهذه المدينة طيلة القرن الثاني للهجرة على الأقل والحقيقة أن مؤسس الحركة الحارثية، المتفرعة عن الإباضية خرج من الكوفة (كما سيأتي) وقد كان يعيش فيها خلال القرن الثاني. ويمكن أن نذكر من بين فقهاء الإباضية الوهبية: أبا المهاجر الكوفي، الذي كان من بين فقهاء القرن الثاني للهجرة¹⁰⁰.

ب - في بقية أنحاء العراق: يعيش الإباضية المنتمون إلى مختلف فرق هذه الطائفة في القرى المنتشرة في طريق البصرة إلى الموصل تقريباً¹⁰¹.

ج - ولا تخلو الموصل من إباضيين: فإن من بين علماء الإباضية المنتسبين لهذه المدينة نذكر حسب المصادر الإباضية شخصاً يدعى: أبو بكر الموصللي. ويبدو لنا محتملاً جداً

96 - الشماخي: ص91.

97 - السير العمانية، ص667، السالمي: اللمع، ص186.

98 - السالمي: اللمع، ص195.

99 - ينظر حول الربيع، أبي سفيان السير العمانية، ص667، السالمي: اللمع، ص186-185، ماسكوري: المتقدم ذكره، ص74 رقم 2، 7-136، ليفيتسكي: تاريخ، ص2-70، أيضاً ملاحظات حول طبقات الإباضية للدرجيني، ص160-159.

100 - ماسكوري: ص121، وفلهاوزن، ص24.

101 - الشماخي: ص1-120.

أن يوجد إباضية بين الخوارج الذين يذكروهم المؤرخون في القرن الرابع والخامس الهجري (العاشر والحادي عشر الميلادي) في الجزيرة بالغرب من الموصل¹⁰².

د - الحجاز: يبدو أن الإباضية كانوا منتشرين في المدينة ومكة، وتواجدت بهما خلال القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) جماعات إباضية. فبالنسبة إلى مكة: كانت هذه المدينة تقريباً في القرن الثاني أحد مراكز الدعاية الإباضية النشطة. وقد كانت توجد بقايا الإباضية في مكة في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). ومن بين فقهاء الإباضية الحجازيين خلال القرنين الثاني والثالث نذكر: أبو الحر علي بن الحسين العنبري، ومحمد بن سالم، وابن عباد المدني¹⁰³.

ر - وسط الجزيرة العربية: يبدو أن أبا عبيدة أرسل بعض حملة العلم نحو مركز شبه الجزيرة العربية، ولعله نحو اليمامة حيث كان توجد قبل ذلك بقليل إمامة خارجية من فرقة الجندية قريبة من نظريات بن أباض¹⁰⁴.

ز - حضرموت واليمن: إن أصول الإباضية في حضرموت واليمن غامضة جداً. ويمكن إلحاقها بنشاط مفترض لأول رئيس لطائفة الإباضية، خاصة عبد الله بن أباض الذي توفي. حسب قول بن حوقل¹⁰⁵ في إقليم: المدخيرة، جنوب غرب اليمن. ويرتبط مجيء عبد الله بن أباض إلى اليمن لا محالة باحتلال الخوارج لجنوب الجزيرة العربية الذي وقع بين عامي 65 و73هـ (685-92م). ولم يتواصل احتلال الخوارج لهذه البلاد طويلاً فقد انتهى سنة 73هـ. ولكن يبدو أن الأفكار الخارجية بقيت منتشرة في جنوب الجزيرة العربية، حيث انتهت بسقوط الخلافة الأموية بثورة إباضية وقد هيأت هذه الثورة بتحريض من إباضية البصرة. وكانت الثورة تهيج الأفكار المناوئة للأمويين التي كانت منتشرة في جنوب الجزيرة العربية تحت حكم القاسم بن عمر الذي نصب حاكماً على صنعاء من قبل الخليفة مروان بن محمد، وإبراهيم بن جباله بن مخزومة الكندي. الحاكم الأموي على حضرموت الذي كان يتبع القاسم بن عمر. وقد انتصب على رأس الثوار عبد الله بن يحيى الكندي. الملقب طالب الحق. وكان قاضياً لدى حاكم حضرموت ورجلاً زاهداً ونشيطاً. وقد اتفق مع الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي أمره بالثورة ضد الحكم الأموي. وهذه الحركة تبدو أنها وقعت في أواخر عام 127 أو بداية 128هـ.

102 - السالمي: اللمع، ص 180، السير العمانية، ص 667، المسعودي: ص 1-230، حدود العالم، ص 140.

103 - ماسكوري: ص 664، الشماخي: ص 9-97، السالمي: اللمع، ص 183، السير العمانية: ص 679.

104 - الباروني: السلم، ص 7، فلهاوزن: ص 29-32، برونا: ص 61.

105 - كتاب صورة الأرض، طبع ج.هـ. كرامرس ج 1 ص 37.

وفي نفس الوقت أرسل مسلم بن أبي عبيدة إلى عبد الله بن يحيى مجموعة من الشخصيات السامية من إباضية البصرة وكان عليهم أن يعينوه في تنظيم إمامة حضرموت على رأسه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي وبلج بن عقبة الأزدي. وعند وصول الوفد إلى حضرموت اعترفوا بعبد الله بن يحيى إماماً، وبذلك تكونت أول إمامة إباضية. وقد احتل الثوار عاصمة حضرموت وبعد ذلك سنة 129هـ مدينة صنعاء عاصمة الجنوب العربي كله. ثم قرر عبد الله بن يحيى احتلال مكة والمدينة وكان الجيش الإباضي لا يضم سوى 900 أو 1000 رجل على رأسهم أبو حمزة المختار. فاستولى بسهولة على مكة ثم على المدينة. وقد حفظت لنا كتب الأدب العربي نصوص الخطبتين اللتين ألقاهما أبو حمزة المختار في هاتين المدينتين. وبعد احتلال الحجاز أصبح الإباضيون يشكلون خطراً على الاحتلال¹⁰⁶ الأموي في سوريا، مركز الخلافة. وهكذا اضطر مروان بن محمد إلى التحرك بسرعة ضد هذا العدوان² وأرسل لقتال الإباضيين قوة تتركب من 4000 جندي سوريين تحت إمرة عبد الملك بن عطية السعدي. الذي استرجع المدينة ثم مكة وقتل أبو حمزة المختار. وعند سماع هذا النبأ خرج عبد الله بن يحيى من صنعاء على رأس الإباضية لمنع الجيش الأموي من دخول اليمن. والتقى الجيشان في مكان غير بعيد من الجرش وانتهت المعركة بهزيمة الإباضيين هزيمة تامة ووفاء طالب الحق. واعتصم الباقون بمدينة شيبان الحصنة. وبعد قليل تلقى عبد الملك بن عطية الأمر من مروان بن محمد بالدخول إلى مكة. وهكذا اضطر إلى إبرام هدنة مع إباضية حضرموت (ورضي كذلك أن يعترف لهم باستقلالهم) وبعد وفاة طالب الحق اعتمد إباضية حضرموت، ومشايخ البصرة عبد الله بن سعيد الحضرمي إماماً لهم خلفاً له. وكانت الإمامة موجودة في القرن الخامس الهجري. الحادي عشر الميلادي حسب ما قاله الحمداي. وكانت مدينة (دوان) عاصمة لهذه الدولة في القرن الرابع.

ويأتي ذكر إباضية حضرموت لآخر مرة في منتصف القرن الخامس.

أما بالنسبة لإباضية اليمن بعد سقوط الإمام عبد الله بن يحيى فإن وجودهم يكاد يكون منعماً. فبعد سحقهم من طرف عبد الملك بن عطية سنة 130هـ (748م) أصبحوا خاضعين للدولة العباسية. وقد كانت توجد باليمن عدة مجموعات إباضية حتى منتصف القرن الرابع الهجري على الأقل حسب اعتقاد الرحالة الإدريسي. ويبدو أن سكان مدينة مهرة - الموجودة على الساحل بين حضرموت وعمان - كانت تدرس الفقه الإباضي. وكان

106 - و 2 - نستعمل الألفاظ التي اختارها المؤلف بكل أمانة فقد استعمل كلمتي Agression و-Oc

cuopation في الموضوعين.

سكانها يدفعون زكاة أموالهم إلى إمام عمان (مطلع القرن الثالث)، ويوجد إباضيون خارج حدود الإمامة الأولى لطالب الحق، في جزيرة من الشراة (وهي التسمية التي كان يطلقها هذا المؤرخ على الإباضية) المعادين للسنين في جزيرة سوقطرة¹⁰⁷.

س- عُمان: وهو ميدان آخر لنشاط الإباضيين في الجزيرة العربية ولا توجد لدينا معلومات كثيرة عن جذور الإباضية في هذا البلد. ويبدو أن التاريخ الأول للإباضية في عمان يرتبط بالنشاط الذي كانت تمارسه مجموعة الخوارج السابقة للإباضية التي يتزعمها أبو بلال. والواقع أننا نعلم أن سكان عمان كانوا في منتصف القرن الأول للهجرة (السابع الميلادي) من الدعاة المتحمسين لهذا البطل الخارجي. يضاف إلى ذلك أنه بعد ذلك بقليل وحتى سنة 73هـ فإن عمان كان ينتسب إلى إمامة أنشئت في جزيرة العرب من قبل الفرع الخارجي وهم النجدات. ومنذ نهاية القرن الأول. فإن الطابع الخارجي للعمانيين أصبح إباضياً محضاً، ولعل ذلك يرجع إلى نشاط جابر بن زيد وإلى تأثير علماء الإباضية الآخرين بالبصرة الذين نفاهم الحجاج. وهكذا يقول بحق العالم الإباضي المعاصر (طفيش)، إن تاريخ إباضية عمان يبدأ من عصر التابعين. ولكن الطلائع الأولى للإباضية لم تظهر بصورة جدية إلا في النصف الأول للقرن الثاني. ويعود ذلك، بدون شك، إلى حملات العلم التي أرسلها إلى هذا البلد في هذه الفترة الإمام أبو عبيدة. وهؤلاء الحملة يساعدهم فقيه كبير من عمان هو خيار بن سالم الطائي وفقهه آخره هو موسى بن أبي جابر الأزكاني. وعلى إثر هذه الطلائع انفجرت سنة 132م (750م) ثورة إباضية في عمان. وانتصب على رأس الثائرين أحد أولاد ملوك البلاد: الجلندي بن مسعود الذي انتخب إماماً. ولكن هذه الإمامة التي امتدت إلى حضرموت واليمن كانت قصيرة الأجل. وانهارت سنة 134هـ على إثر حملة أرسلها العباسيون بقيادة خازم بن خزيمه. فقتل الإمام في المعركة وقد ضعف إباضية عمان على إثر هذه الهزيمة على ما يبدو بالرغم من أن الحاكم العباسي الذي نصبه السفاح على هذه المنطقة يظهر تسامحاً تجاه مذهب هذه الطائفة. وسرعان ما استطاع الإباضيون رفع رؤوسهم واستئناف نشاطهم في عمان منذ النصف الأخير من القرن الثاني بفضل حملة العلم الجدد الذين أرسلهم إلى هذا البلد خليفة أبي عبيدة وهو الربيع بن حبيب (وخاصة البشير بن المنذر الشهير) وكذلك إلى نشاط موسى بن أبي جابر. وكان مركز هذا النشاط مدينة نزوى. وفي هذه المدينة وقع الإعلان عن الإمام محمد بن عفان (ويسمى كذلك محمد بن عبد الله بن أبي عفان، أو محمد بن أبي عفان) إماماً

107 - ينظر في تاريخ إباضية جنوب الجزيرة: ت. ليفيتسكي - الإباضية في جنوب الجزيرة العربية في العصر الوسيط، في فوليا أورياننا، 1959-1، ص 18-3.

لعمان وذلك في سنة 177هـ (793م). وهو رجل ينتمي إلى قبيلة أزد بني محمد. ويظهر أنه في عهد خليفته الوارث بن كعب الخروصي 179-92هـ (795-808م) انتقل مشايخ البصرة إلى عمان التي أصبحت بذلك المركز الروحي للإباضية. وحول الدور الكبير الذي لعبته عمان في تاريخ الإباضية. يظهر أن هناك دلالة هامة للقول المأثور: بدأ العلم بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار إلى عمان¹⁰⁸. ونضيف إلى هذا أن هناك احتمالاً في التقارب بين هويتي إمام عمان الوارث بن كعب الخروصي. وإمام حضرموت الوارث بن كعب الحضرمي الذي كان يعيش في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة. ونذكر من بين أئمة عمان الإباضية غسان بن عبد الله اليماني الأزدي (المتوفى سنة 207هـ (822-3م) وعبد الملك بن حميد الذي استمر في الإمامة 18 سنة والمهنا بن جعفر 226-37هـ (841-52م) وفي إمامة هذا الأخير كانت حضرموت جزءاً من إمامة عمان. وتولى الإمامة بعده الصلت بن مالك إلى عام 273هـ (887م). ونعرف أيضاً إماماً إباضياً لعمان في هذا العهد رشيد بن النضر الذي تولى الإمامة مباشرة بعد الصلت بن مالك. وهذا العهد هو بداية الخلافات والصراعات الداخلية (الحرب بين القبائل النزارية والهنابية). وكان بعض أئمة الرستميين الحاكمين في هذا العهد هم الأئمة العالميون للإباضية. على أن هؤلاء الحكام الإباضيين كانوا منتخبين من طرف السكان المحليين وليسوا معينين من طرف أئمة المغرب. وكان عمان منقسماً إلى عدة مقاطعات على رأس كل واحدة منها حاكم. ويقوم الأئمة أو الولاة في نزوى. وفي سنة 280هـ أعاد العباسيون احتلال عمان بعد معركة انتصر فيها القائد العباسي محمد بن نور القتل. ولكن تبعية عمان للخلافة العباسية لم تكن سوى تبعية سطحية. والحقيقة هي أن الإمامة كانت موجودة في عمان بدون انقطاع. وتذكر المصادر الإباضية عدة أسماء لأئمة حكموا خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وكان أئمة عمان يواصلون ممارسة سيادتهم في مطلع هذا القرن على مهرة. وبالنسبة للتاريخ اللاحق لهذا التاريخ العماني فسنتركه جانباً في هذه الدراسة. على أن نحيل القارئ إلى الكتابات الثرية حول هذا الموضوع التي سنذكرها فيما بعد. ونذكر أيضاً أن التسلسل التاريخي للأحداث المذكورة أعلاه ليست أكيدة بصفة دائمة وسيجد القارئ فيها بعض الاختلاف بالنسبة لما كتبه المؤلف نفسه في بحوث سابقة.

وليس لنا المعلومات الكافية حول توزيع العنصر الإباضي في عمان خلال العصور الوسطى ونستطيع أن نلاحظ. من خلال قراءتنا للسير الخاصة بهذا البلد مثل: السير العمانية، وكشف الغمة.. الخ. إن المجموعات الإباضية الكبرى في عمان توجد في

الجنوب من خط وهمي يمر بين مدينتي صحار وتوام. (اليوم يدعى: التوام أو البريمة) ويحتل الإباضيون خاصة قطاع الباطنة وما حوالي رستاق حيث يتجمع أكبر قسم للأقاليم والمحلات الإباضية المعروفة في المصادر. ونذكر من بين هذه الأماكن: العاصمة القديمة الإباضية لعمان: نزوى مع القرى التابعة لها: عكر نزوى. وحمام نزوى. وازكاء وبهلاء وفرق (وهي بلدة جابر بن زيد) ومنح وفلج. ونخل وسماويل والحاجز. وعلى الشاطئ ومقابل نخل: مدينة وضام. وتوجد كذلك مجموعة سكنية مكثفة على الشاطئ الجنوبي الشرقي لعمان ومسقط: قرية تايوه. كلمات وعلى الإقليميين البحرين: خروص وريام. ولا نكاد نعرف أي شيء عن الجنوب الأقصى العماني. ويبدو أن القسم الأكبر للإباضيين لا يتجاوز بكثير نحو الجنوب حدود مقاطعتين خروص وريام.

أما بالنسبة لعمان الشمالي. فإن مقاطعة السر خاصة. ومدينة جلنار التي تذكر المصادر أنها تحتوي على مجموعة إباضية.

ويبدو لنا مما تقدم أن حدود البلاد التي يسكنها الإباضية كانت أقل مساحة من إمامة عمان. وخاصة في أوج عظمتها في القرن الثالث الهجري (الإباضية) اليوم هي عقيدة أهم الفرق للعشائر العمانية في غافير وهينا¹⁰⁹.

ص - إفريقيا الشرقية: لا نعلم الأصول التي يرجع إليها الإباضية في الشاطئ الشرقي للقارة الأفريقية (بلاد الزنج حسب المؤرخين العرب في القرون الوسطى) ونعتقد أن الأوائل الذين نشروا المذهب الإباضي في هذه البلاد هم جبار من عمان. وقد بدأ ذلك على ما يظهر في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). ومن بين الشيوخ الإباضية للقرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) نجد عالماً من إفريقيا الشرقية: الوليد بن برك القيلوي الإباضي. من مدينة كيلوه. ويبدو أن العنصر الإباضي في بلاد الزنج قد تضاعف خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري (السابع عشر والثامن عشر الميلاديين) وذلك

109 - الشماخي: ص 78، 93 وما بعدها - الدرجيني: الطبقات رقم 275 من مجموعة كراكوني. والبرادي: ص 17، السير العمانية. ص 677-667-277-219-174 وما بعدها. ماسكوري: ص 43-136. الطبري ص 111-501-484-81-78. سليل بن رزاق في تاريخ عمان. ترجمة P.G. بادجير. لندن 1871. وبحث ساشو في: MSOS 19-1-1. وهوارت في تاريخ العرب ص 82-257-11. ماسينون: الدورية السنوية للعالم الإسلامي ص 60-58-2. H. Klein Kapitel XXXIII. Der anonymen arabischen chronik كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. أخبار أهل عمان من أول اسلامهم إلى خلاف كلمتهم. أطروحة هامبورغ 1938. L. Vec- cia Vaglieri. L>imamto Ibadita dell Oman dans : AIUON. N.S III 1949-245-82. Lewiki : Les Ibadites dans l>Arabie du sud. Passin ووجد ذكرًا لعدد كبير من الإباضيين العمانيين في مؤلفات عدد كبير من الجغرافيين والمؤرخين العرب السنين.

عندما الحق الجزء الأكبر من الشاطئ الإفريقي إلى عمان. ويسكن اليوم معظم الإباضيين في إفريقيا الشرقية في جزيرة زنجبار¹¹⁰.

ع - كيشم: إن سكان هذه الجزيرة التي يسميها عرب القرون الوسطى جزيرة بن كعوان والموجودة بالقرب من سواحل كيرمان تجاه راس ماسندام كانوا إباضيين في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) حسبما يقوله الإدريسي¹¹¹.

ف - الفرس: توجد مجموعة عظيمة من الإباضيين منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) في خراسان. إثر حملات العلم التي كان يرسلها الإمام أبو عبيدة وخاصة حملة هلال بن عطية الخراساني. المبعوث الإباضي الأول إلى هذه البلاد. ومن بين علماء خراسان الإباضيين الذين يجب ذكرهم العالم: أبو غانم بشير بن غانم الخراساني وهو من علماء القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وهو مؤلف الكتاب الشهير المعروف بالمدونة.

ويوجد إباضية أيضاً في مطلع القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) في فارس ولسنا نعلم ما إذا كان الحمزية الذين يشير المسعودي إلى وجودهم في إيران من الطائفة الإباضية التي تنتمي إلى حمزة الكوفي (ينظر ما يأتي) أم هم فرقة من العجاردة¹¹².

ك - الهند والصين: يذكر مؤرخو عمان الإباضيون وجود فرق من العسكريين الهنود في الجيش العماني منذ عهد بعيد. ويحتمل أن يكون دخول المذهب الإباضي إلى السند كان عن طريق هؤلاء الجنود وعن طريق التجار العمانيين. أو الفرس أو جزيرة بن كعوان.

ويوجد بقايا من الإباضيين في مدينة المنصورة. عاصمة السند في سنة 445هـ (1053م) في عهد الإمام رشيد بن إمام عمان. الذي بعث إليهم سيرة (رسالة) ولا نعلم هل استطاعوا الحصول على استقلال سياسي أم لا. ونعتقد أن الخوارج الذين أشار المسعودي إلى وجودهم على الساحل بين كيرمان والسند في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) من الممكن أن يكونوا قريبين جداً من هؤلاء الإباضية.

كما أنه من الممكن جداً أن هناك إباضيين من بين المعمرين المسلمين الذين استوطنوا الصين حيث أن قسماً كبيراً منهم كان المذهب الإباضي سائداً فيها مثل عمان وحضرموت.. الخ.

110 - سليل بن رازق المتقدم ذكره ص 205-92. السير العمانية. ص 671.

111 - ترجمة جوبير: ص 1، 158.

112 - الشماخي: ص 119، 118، 116، 113، 88، 87. السير العمانية. ص 667. السالمي: اللمع. ص 186-185. المسعودي: ص 231-230. الشهرستاني. ترجمة هاربروكر. 1-5-144 موتلنسكي في:

Le nom berbeère de dieu chez les Ibadhites dans R. Afr. 1905 46.

وتذكر لنا كتب الإباضية شخصيتين تشتغلان بالتجارة وهما من علماء عمان والبصرة في آن واحد وهما: أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الصغير. والنزار بن ميمون وقد ذهبوا إلى الصين في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)¹¹³.

هـ - مصر: منذ عهد مبكر نسبياً انتشرت العقيدة الإباضية كذلك في مصر. التي أصبحت منذئذ أحد المراكز الهامة للعلم الإباضي إلى جانب البصرة والمدينة. وتذكر المصادر الإباضية أسماء عدة علماء من أصل مصري مثل محمد بن عباد¹¹⁴.

و - إفريقيا والمغرب: تلعب التجمعات الإباضية في شمال إفريقيا منذ عهد دوراً أساسياً في تاريخ هذا المذهب. وأن أول من علم العقائد الإباضية في هذا البلد هو سلامة بن سعيد (سلمة بن سعد) وهو شيخ من البصرة ظهر عند مطلع القرن الثاني الهجري في القيروان مصحوباً بالعالم الصفري عكرمة مولى بن عباس المتوفى سنة 107هـ¹¹⁵. ويبدو أن نشاط سلامة لقي حظاً من النجاح. لأننا نجد في طرابلس بعد عشرين سنة مجموعة هامة من الإباضية رئيسهم شخص يدعى: عبد الله بن مسعود التجيبي الذي يعتمد أساساً على بيت من الأمازيغ ينتمي إلى هواره التي كانت تحتل طرابلس والمنطقة الشرقية لها إلى سبخة تاورغة خلال القرون الوسطى.

ثم انتقلت الرئاسة بعد ذلك إلى كل من عبد الجبار بن قايس المرادي والحارث بن تلد الحضرمي. وحتت تأثير هذين الشيخين الإباضيين اللذين يعتمدان كذلك على قبيلة هواره. وقع القسم المتبقى من طرابلس الحالية تحت تأثير الإباضية.

ومن بين القبائل الأمازيغية التي اعتنقت الإباضية في هذه الفترة قبائل زناتة في طرابلس الشرقية. وقبائل نفوسة التي استقرت في جبل طرابلس الذي يحمل حتى الآن اسم هذه القبائل. وقد أعلن الحارث إماماً للأحكام. ولكن يبدو أن كلاً من الحارث وعبد الجبار كانا يحكمان معاً¹¹⁶.

113 - المسعودي: ص 231-52، السالمي: ص 183، سليل بن رازق: ص 35، ليفيتسكي في: Les premeirs commerçants arabes en Chine 86-173. XI.RO

114 - الشماخي: ص 122، اللمع: ص 186.

115 - ينظر: ماسكوري: ص 3-4، الشماخي: ص 98، الدرجيني.

116 - بن عبد الحكم: في فتوح، ص 244، البرادي: ص 170، الشماخي: ص 175-597 ليفيتسكي في:

La reparation des groupements Ibadites dans l'Afrique du Nord au moyen ages. Dans RO.XXXI (1957) 308.

ملحوظة: المقال مترجم ومنشور في الجزء الأول من السلسلة بين يديك.

وبعد وفاة الحارث وعبد الجبار اللذين قتل أحدهما الآخر في عام 131 أو 132هـ أصبح إسماعيل بن زياد النفوسي (ويدعى أيضاً: أبو الزاجر إسماعيل) رئيساً منتخباً لإباضية طرابلس باسم إمام الدفاع. فاستولى على مدينة قابس في سنة 132هـ عند ظهور الخلافة العباسية. ولكنه قتل قرب هذه المدينة في معركة مع جيوش عبد الرحمان بن حبيب القائد العربي للقيروان. وقد مات بعد ولايته مباشرة¹¹⁷. وفي هذا العصر ظهر بدون شك، الإباضي ذي الأصل الأمازيغي: عمر بن يمكتن. وتذكر المصادر القديمة أنه أول من درس القرآن الكريم في جبل نفوسة. وكان قد حفظه على الطريق الكبير الذي كان يربط المغرب بالمشرق بالقرب من مغمداس. وهي: مرسى الزعفران الحالية¹¹⁸ وبعد وفاة إسماعيل بن زياد النفوسي سقطت الدولة الإباضية بطرابلس. ولكن السكان بقوا على المذهب الإباضي. ومن طرابلس أو المناطق المجاورة لها من الجنوب التونسي قدم إلى البصرة. قبل سنة 140هـ (760م) عدد من الأمازيغ للتعلم على يد رئيس مشايخ الإباضية بهذه المدينة أبي عبيدة التميمي.

ومن بين هؤلاء الأشخاص الذين رجعوا فيما بعد إلى طرابلس لتدريس العقيدة الإباضية نذكر شخصاً يدعى بن مغطير. وهو نفوسي كان حياً حوالي سنة 196هـ¹¹⁹. وعاصم السدراتي الذي سيذكر فيما بعد من بين قادة الإباضيين بالمغرب المتوفى سنة 155هـ (772م)¹²⁰. وأبو داود القبلي من نفاوذة بالجنوب التونسي وإسماعيل بن ضرار الغدامسي. وهؤلاء الأشخاص الثلاثة. مع عبد الرحمان بن رستم الفارسي الأصل الذي أقام أصلاً في القيروان. مع شخص جنوب الجزيرة العربية يدعى أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري (وكان مولى لقبيلة المعاذير)¹²¹ يشكلون فرقة من المبعوثين (حملة العلم) تشابه الفرق التي أرسلها أبو عبيدة إلى عمان وخراسان. وقد تلقوا من أبي عبيدة الأمر بتكوين إمامة بطرابلس. وقد عين هذا الرئيس أبا الخطاب إماماً. وتكلفت رسالة هؤلاء الحملة بالنجاح. ففي سنة 140هـ قام أعيان الإباضية بطرابلس الذين جمعوا في اجتماع سري عقد في صياد قرب طرابلس برفع أبي الخطاب إلى درجة إمام.

وقامت قبائل الأمازيغ الإباضية من هواره ونفوسة وغيرها بفتح كامل تراب طرابلس

117 - ليفيتسكي: دراسات إباضية شمال إفريقية، قسم 1 فارسوفيا 2011-23-1957 و 127.

118 - الشماخي: ص 142، ليفيتسكي: دراسات إباضية، ص 55.

119 - ستروتمان: في Berber et Ibadiyer. Dans Isl 266. ليفيتسكي في: Lewiki-Etudes berbers. Nord fri 93-95.

120 - ليفيتسكي: ص 77.

121 - البيان، ج 1 ص 317.

بما فيها مدينة طرابلس التي أصبحت عاصمة لهذا الإمام. وفتحوا فيما بعد مدينة القيروان في شهر صفر سنة 141هـ (يونيو يوليو 758م). وهي العاصمة العربية لإفريقيا التي كانت حينئذ تحت سلطة الصفيرية من قبيلة ورفجومة.

وعلى إثر هذه الانتصارات التي أحرزها أبو الخطاب، نشأت دولة إباضية كبرى شملت جميع تراب طرابلس ابتداءً من الحدود الغربية لبرقة، وتونس وكل الشرق للجزائر الحالية بما في ذلك تراب كتامة بالشمال القسنطيني.

ويبدو أن أبا الخطاب كان يمارس إلى جانب ذلك نوعاً من النفوذ على صفيرية سجلماسة¹²². ولم تدم إمامة أبي الخطاب إلا قليلاً. ففي سنة 144هـ قضى عليه الجيش العباسي بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي. حاكم مصر على إثر معركة وقعت في تاورغة شرقي طرابلس. وقتل فيها أبو الخطاب مع عدة آلاف من أتباعه. واستولى بن الأشعث على مدينة القيروان¹²³.

وانسحبت فلول الإباضية إلى داخل طرابلس أو ذهبوا إلى المغرب الأوسط. ثم نشأت شيئاً فشيئاً المراكز الجديدة لمقاومة العباسيين. وهكذا فقد هرب إمام الجيش العربي الذي استرجع إفريقيا عبد الرحمن بن رستم حاكم القيروان السابق. وأحد حملة العلم وذهب (مروراً من سوفجج إلى الغرب من بلاد الجريد حيث جمّع عدد كبير من علماء طرابلس الإباضية) إلى جهة الغرب الجزائري الحالية حيث أسس مدينة تيهرت (بل أعاد بنائها) وسرعان ما انضمت إليه قبائل كثيرة من الأمازيغ الإباضية (وهم بدون شك من مهاجري إفريقيا) مثل قبيلة لمايا ولواتة ونفزاوة. ويبدو أن عبد الرحمن بن رستم قد أصبح من القوة بمكان. لأن رئيس إباضية طرابلس بعد وفاة الإمام أبي الخطاب، أبا حاتم الملوزي الحواري كان يرسل إليه الزكاة في بعض الوقت. وهو بذلك يعترف له بالتفوق.

وفيما عدا هذين القائدين يوجد قادة آخرون في إفريقيا الشمالية في ذلك العهد مثل عاصم السدراتي الذي دعي بالإمام أيضاً من طرف الكتاب الإباضيين والمسوار الزناتي¹²⁴.

122 - ماسكوري: ص34، الشماخي: ص130، البكري في كتاب المسالك والممالك نشر سلان، ص149، من الترجمة 6-285، بن خلدون 1، ص375، باريس 1875، ليفيتسكي: دراسات إباضية شمال إفريقية، ص112.

123 - ماسكوري: ص37-8، الشماخي: ص132، البكري: النص العربي، ص7، الترجمة ص22، بن خلدون ص374-5-220-1، فورنيل: ص1،358،60، ليفيتسكي: ص4-113.

124 - ماسكوري: ص402، الشماخي: ص141-138-135-133، البكري: النص المترجم، ص140، بن خلدون: ص380-375-220-221-1، فورنيل: ص1-371.

وعلى إثر نشاط هؤلاء القادة، انفجرت في إفريقيا الشمالية ثورة إباضية انضم إليها الصفيرية. وعلى رأس الثائرين يوجد أبو حاتم الذي أخذ اسم إمام الدفاع. وبفضل المصادر العربية تحصلنا على تفاصيل هذه الثورة التي كان من أحداثها الهامة الاستيلاء على القيروان من قبل أبي حاتم الذي انتزعها من يد العرب، وحصار طبنة في الزاب.

وبعد سنوات من الحرب، سقط أبو حاتم أمام جيش القائد العباسي يزيد بن حاتم الذي حاربه في شرقي طرابلس، وتوفي سنة 155هـ¹²⁵.

وهاجرت القبائل الإباضية من طرابلس وتونس إلى جهة الغرب على إثر سقوط هذا الإمام، ويرجع إلى هذه الهجرة مرور الجماعات الخارجية من إفريقيا إلى بلاد كتامة خلال سنة 156م كما ذكره بن خلدون. وقد انضم هؤلاء المهاجرون بدون شك إلى عبد الرحمن بن رستم، وأصبحت النقطة المركزية لإباضية شمال إفريقيا مدينة تيهرت، وقد انتخب عبد الرحمن بن رستم إماماً في عام 160 أو 162هـ¹²⁶. وبهذا الحدث بدأ انصهار كل الجماعات الإباضية بإفريقيا الشمالية حول أئمة تيهرت.

وبلغ المذهب الإباضي أوجه في عهد خليفتي عبد الرحمن بن رستم وهما: عبد الوهاب بن عبد الرحمن 168-208هـ (784-823م) وأفلح بن عبد الوهاب 208-5هـ (823-823م). وقد استطاع الإمام عبد الوهاب، بعد حملات عديدة، أن يجمع تحت سلطته في أواخر القرن الثاني جميع القبائل الأمازيغية الإباضية بإفريقيا الشمالية.

وكان على وشك احتلال إفريقيا بالمعنى الكامل للكلمة، ونعتقد أن ثورة نصير بن صالح الإباضي من قبيلة نفزاوة التي وقعت في إفريقيا في سنة 171هـ (787-8م) والتي ذهب ضحيتها 10.000 إباضي كانت ترمي إلى إلحاق هذا البلد بمملكة تيهرت¹²⁷.

ولعل فشل هذه الثورة هو الذي دفع بإمام تيهرت لأن يعقد السلم مع روح بن حاتم، الحاكم العربي على القيروان لحساب الخلفاء العباسيين. وقد بدأت فعلاً المفاوضات بين تيهرت والقيروان مباشرة بعد الفوضى الإباضية في هذا العام 171هـ¹²⁸.

وعلى إثر هذه المفاوضات عاد السلم إلى ربوع إفريقيا الشمالية، ولم يعد في

125 - ماسكوري: ص41-9، الشماخي: ص8-135، بن خلدون: ص379-85-221-3-1، البرادي: ص173، فورنيل: ص80-364-1.

126 - (ماسكوري 49 - الشماخي 138 - موتيلانسكي حول بن الصفير 4-63)

127 - (بن عذاري - البيان، 1-82 - بن خلدون 1-224 - فورنيل: 1-384)

128 - (فورنيل: 1-387)

استطاعة حكام القيروان. وأمراء الأغلبية لمدة نصف قرن تقريباً أن يقلقوا الأمازيغ الإباضيين الخاضعين للرسّتميين. وفي هذه الفترة كانت حدود إمارة تيهرت تضم، حسب بن الصغير كل البلاد الواقعة بين تلمسان وطرابلس. ففي الغرب تشتمل الدولة الرسّتمية على نواحي تيهرت من البلاد، ومنطقة سرسو التي يسكنها إباضية أمازيغ من قبيلة لماية وسدراتة ومزاتة ولواتة وهوارة ونفوسة وزواغة ومطماطة ومكناسة وزداجة وغمارة. وقد تخلى معظم هؤلاء عن الإباضية حول نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع. وفي الشمال الغربي تقترب حدود الدولة الرسّتمية من شواطئ البحر الأبيض المتوسط قرب مرسى فروخ ومرسى الخراز (بين ارزو ومستغانم الحالية) أو القالة أي بالقرب من مرسى الدجاج (بين الجزائر وبجاية).

وفي الجنوب تضم الإمامة الرسّتمية واحات وادي ريغ وورجلة، ومراً يتكون من جزء من الحضنة والزاب وكذلك قسم من جبل أوراس - العامر بالإباضيين - يربط بين الأجزاء الغربية من إمارة تيهرت بالأقسام الإباضية في تونس وطرابلس الحالية. وتضم هذه الأوطان الشرقية من الدولة الإباضية في مطلع القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كل الجنوب التونسي أي قفصة، والجزء الساحلي (الساحل الحالي) وبلاد الجريد (ويسمى من طرف الإباضيين القدامى القصور) مع أقاليم قسطنطينية (توزر)، قنطرة، نزاوة، وحارة نفاثة وجبال الجنوب التونسي، وكذلك كل إقليم طرابلس ماعدا مدينة طرابلس نفسها.

وهكذا نرى أن ممتلكات الإمامة الرسّتمية تحيط دولة الأغلبية من جميع الجهات وكانت سلطة هذه الدولة لتزال محدودة في الربع الأول من القرن الثالث في شمال تونس وبالغرب الشمالي للجزائر.

ولم يستطع الأغلبية إلا في سنة 224هـ (839م) فك الحصار الرسّتمى، والاحتلال الجزئي للممر الإباضي الذي يربط تيهرت بطرابلس أي إقليم قفصة والساحل وبلاد الجريد وذلك بفعل حملة شنّها القائد الأغلب عيسى بن ريان الأزدي ولم يبين لنا بن عذارى الذي نقتبس منه هذا الخبر ما هي العقائد التي يعتقدونها أمازيغ الجنوب التونسي لأنه اكتفى بالقول بأنهم ينتمون إلى قبائل لواتة وزواغة ومكناسة. وقد أبيدت هذه القبائل في معركة وقعت بين قفصة وقسطنطينية، وذلك مما أدى إلى انتهاء السيطرة الرسّتمية في جنوب تونس وإلى تقسيم التراب الإباضي المغربي إلى قسمين¹²⁹.

129 - ترجمة موتيلنسكي لبني الصغير: ص122-123-78-74، البكري: ص73-72-70-55، من النص والترجمة: ص166-164-148-144-117، الدرجيني: ص102، الوسياني: تعاليق ص277، من مجموعة

وفيما عدا إفريقيا الشمالية. فإن التجمعات الإباضية بالبصرة وفي كل المشرق اعترفت بتفوق عبد الرحمن بن رسّتم وكل خلفائه، وأرخوا باسمه كتبهم ووصاياهم¹³⁰ وهذا بدون شك هو السبب في أن الحكام الإباضيين بعمان يضعون أحياناً خلال القرن الثالث الهجري لقب والي (حاكم) أو متقدم (رئيس) إلى جانب لقب الإمام.

وحوالي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري آلت الإمامة الرسّتمية نحو الانهيار بسبب الانقسام العقائدي والسياسي للنكار والخلفية وبين مسألة (الذي أنشأ دولة إباضية مستقلة بالقرب من تيهرت) كما سيأتي وقسمت إلى قسمين منفصلين نظراً لانتصارات الأغلبية الذين استولوا على الجنوب التونسي كله.

ويرجع الزوال التام للنفوذ الرسّتمى في طرابلس إلى عام 283هـ (896م) عندما كسرت الجيوش الأغلبية في معركة مانو الشهيرة، القبيلة الإباضية القوية بنفوسة التي كانت الدعامة الأساسية للدولة الرسّتمية في إفريقيا¹³¹. واستمر بقاء الجزء الآخر من دولة تيهرت إلى سنة 296هـ (909م) حيث سقطت أمام جيوش أبي عبد الله الشيعي الذي أسس على أنقاض دولة الأغلبية والرسّتميين والمداربيين والسجلماسيين الدولة الفاطمية الجديدة والقوية. وبعد الاستيلاء على تيهرت من طرف الجيش الفاطمي، فر آخر إمام رسّتمى أبو يوسف يعقوب مع عائلته، وهو أشهر علماء ورجال تيهرت إلى سدراتة (في واحة ورجلة) على الحدود الجنوبية لدولة تيهرت حيث فكروا في إعادة إنشاء دولة إباضية جديدة في هذه النواحي¹³². وقد استبعدت هذه الفكرة على ما يبدو على إثر حملة فاطمية على واحة ورجلة¹³³.

وعلى كل، فقد تأسست إمارة إباضية جديدة في جبل نفوسة الذي لم يدخله الجيش

كراكوني ص140-144-58-33-4، اليعقوبي: بلدان، ص356-355-353-352-346، الشماخي: ص5-159-154-597-596-590-275-214-203-196-194-181-161، بن خوردايه: النص ص88-9، الترجمة: ص63، بن الفقيه: بلدان، ص79، فوندرهايدن في تيموزغا الشرقية، باريس 1927، ليفيتسكي: التوزيع الجغرافي للجماعات الإباضية في إفريقيا الشمالية خلال العصر الوسيط ص43، 301، لنفس المؤلف: الإباضية في تونس في العصر الوسيط، وله أيضا وثيقة إباضية مخطوطة حول هجرة قبائل نفوسة من الجبل:

ملحوظة: لقد ترجمة ونشر كل المقالات السابقة للمؤلف في العدد الأول من السلسلة بين يديك.

130 - ماسكوري: ص53، موتيلنسكي: بن الصفي: مترجمة، ص71-65.

131 - (الشماخي، 9-667 - الدرجيني 31 V / ماسكوري، 194-202 - بن عذارى 1، 129 - فورنيل 1، 575 /

فودر هايدن، 5-44)

132 - (الشماخي - ماسكوري - فورنيل)

133 - (ماسكوري 3-220)

الفاطمي إلا في تاريخ لاحق جداً. ونريد بهذا الصدد أن نتعرض لنشاطات أبي يحيى زكرياء الأرجاني وقد تولى هذا الإمام الحكم لمدة خمسة عشر عاماً تقريباً وكان يدعى حاكم أو إمام الدفاع. ويقوم في جبل نفوسة. وهو المثال الوحيد المعروف الذي حمل فيه قائد إباضي وهبي لقب إمام بعد سقوط إمامة بني رستم ولم يتجاوز سلطانه حدود جبل نفوسة. ومع ذلك فقد استطاع أن يحتفظ باستقلال هذا الإقليم تجاه الفاطميين وقد توفي سنة 311هـ (423-4م). وكان خلفاؤه الذين يحملون لقب حاكم مستقلين فعلاً عن الدولة الفاطمية. وقد اضطر أحد حكام الجبل فيما بعد لأن يعترف بتفوق بني زيري خلال سنوات (430-50م). وكان حكم الإباضية - المشايخ فيما بعد - الشبه المستقلين في جبل نفوسة موجودين في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)¹³⁴.

وُجد في منتصف القرن الرابع مجهوداً ضائعاً في سبيل إعادة تأسيس دولة إباضية في شمال إفريقيا. يتمثل هذه المرة في الطائفي النكاري: أبي يزيد مخلد بن كيداد المتوفى سنة 335هـ (946-7م) الذي جمع حوله القبائل الإباضية في طرابلس والزاب ومن جهات أخرى من المغرب. وبعد عشرين عاماً. حاول إباضية المغرب محاولة أخرى سنة (358م) وأعلنوا الخروج عن الفاطميين. وهذه الثورة التي اندلعت في بلاد الجريد قادها شيخان من شيوخ الإباضية الوهبية من قبيلة بني وسيان وهما أبو القاسم وبعد وفاته أبو خزر¹³⁵.

وسمحت هذه الثورة للإباضية بالاستيلاء المؤقت على طرابلس والجنوب التونسي وجزيرة جربة والزاب ووحدات وادي ريف ووارجلان. وأعلنوا ولاية الدفاع وعينوا الولاة على كل الأقاليم. وفكروا في إقامة علاقات مع الأمويين بالأندلس.

لقد جمع أبو خزر جيشاً كبيراً. وقدمت له قبيلة مزاتة وحدها 13000 فارس ولكن هذه الثورة لم تدم طويلاً. وبعد هزيمة الثوار في باغاي استسلم الإباضيون في شمال إفريقيا للفاطميين¹³⁶.

ولم يفكر إباضية شمال إفريقيا بعد هذه الثورة في إعادة تأسيس إمامة. وعادوا إلى مرحلة الكتمان أو السرية.

ومع ذلك فقد تكونت في عدة أجزاء من المغرب وإفريقيا مجموعات سياسية صغيرة للإباضية الوهبية. مستقلة أو شبه مستقلة عن الفاطميين وعن الممالك السنية في

134 - Lewiki, Ibaditita, 2 Les Hakims du Djebel Nafoussa dans RO. XXVI - 1962, 97-123.

135 - أبو جعفر الزناتي حسب بن خلدون، ج 11 ص 542.

136 - ماسكوري، ص 288-310، الشماخي، ص 62-346، فورنيل، ص 11-349.

شمال إفريقيا. وقد تكلمنا فيما سبق عن الحكماء الإباضيين في جبل نفوسة. وكانت لنا فرصة في دراسة خاصة تحدثنا فيها عن التجمعات الإباضية في طرابلس وفزان التي عاشت بعد الدولة الرستمي. وقد انتهت معظم ولاياتها في منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)¹³⁷.

وبعد ذلك، وبمجرد حلول القرن الخامس (الحادي عشر الميلادي) ظهر المقدمون والرؤساء إلى جانب الحكماء. في شكل جديد للحكومة. وهي حكومة دينية تتشكل من مجالس من العزابة تحت رئاسة شيخ. وإليهم يرجع النظر في كل الحياة الخاصة بالإباضية. وعلى إثر الحروب الأهلية. وانتهيار الثورات على يد الفاطميين متبوعة بالقمع الذي مارسه هؤلاء وغيرهم من الملوك السنيين في إفريقيا الشمالية. بدأت مرحلة من الانزواء الإباضي في شمال إفريقيا الذي تسارع بعد هجرة بني هلال وقد التجأ الإباضية في شمال إفريقيا ابتداء من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) إلى بعض الأماكن التي يقل ارتيادها حيث لازالوا موجودين حتى اليوم. وهكذا فإن الإباضية الذين نجوا من المغرب الأوسط قاموا بتدعيم التجمعات الإباضية أول الأمر في واحة ورجلان ووادي ريف ثم أسسوا فيما بعد مستعمرات في ميزاب حيث نزح إليهم في مرحلة تالية بقايا إباضية وارجلان ووادي ريف.

أما بالنسبة للإباضية طرابلس فإنهم تجمعوا عند نهاية العصر الوسيط في جبل نفوسة. واليوم لم يبق من أتباع المذهب الإباضي في إفريقيا الشمالية إلا في ميزاب. وفي ثلثي جزيرة جربة. وفي زوارة على الشاطئ الغربي لليبيا. وفي نصف جبل نفوسة.

وإنهم هنا منقسمون على الدوام إلى طائفتين أساسيتين: الوهبية والنكارية. وهم آخر بقايا مجموعة سكنية لعبت فيما مضى دوراً قوياً جداً في حياة إفريقيا الشمالية.

وقد كانت هناك علاقات متينة تجمع بين الأئمة والعلماء الإباضيين في إفريقيا الشمالية ومشايخ البصرة ومكة. وعلماء عمان. وقد حفظ لنا المؤرخون الإباضيون عدة فقرات من الرسائل المتبادلة بين إباضية الشمال الإفريقي وإخوانهم في المشرق¹³⁸. واشتمل ذلك أيضاً على سفارات وأسفار من إباضية المشرق إلى المغرب خاصة في عصر

137 - وذلك في بحث لنا بعنوان: الإباضية في تونس خلال العصر الوسيط. أما بالنسبة لواحة وارجلان فقد كانت خلال القرن الرابع تحت قيادة مجلس من الأعيان (وجوه - أكابر - أعيان). راجع الدرجيني:

ص 38، الشماخي، ص 365.

138 - ماسكوري، ص: 6-65.

ازدهار بني رستم: مثل رحلة العالم أبي غانم الخراساني إلى المغرب¹³⁹. ومن جهة أخرى فإن علماء المغرب كثيراً ما ينتقلون إلى المشرق. أما بعد سقوط الدولة الرستمية فإن العلاقات بين إباضية إفريقيا الشمالية وإباضية المشرق أصبحت ضعيفة ومحدودة.

غير أنه في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أرسل مشايخ عمان إلى المغرب عدة مؤلفات كتبت في المشرق. ومن جهة أخرى. فإنه وقع تكليف أحد المؤلفين القديرين في إفريقيا الشمالية. الدرجيني. بتأليف سيرة لإباضية شمال إفريقيا على غرار العمانيين¹⁴⁰. وبعد ذلك أيضاً عند بداية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). فإن المؤرخ الإباضي بالمغرب الشماخي أقام علاقات مع أحد علماء عمان ويدعى السمانلي¹⁴¹.

م - السودان الغربي والأوسط: في الدراسة القيمة تحت عنوان: حول انتشار الهندسة المعمارية الدينية الإسلامية عبر الصحراء. في مجلة: أشغال معهد البحوث الصحراوية 11 1954م. أبرز العلامة (شاخت) أن إباضية جنوب تونس ووارجلان وميزاب. هم الذين نقلوا ملامح الهندسة الدينية الإسلامية. عبر الصحراء. إلى قبائل الهاوسة. والكافوري والفويلي. وهكذا فإن الصومعة ذات الدرج انتقلت من الجنوب التونسي إلى السودان عن طريق ورجلان. وانتقل الحراب ذو الشكال المستطيل من ميزاب وانعدام الحراب عند الفويلي ليس سوى أثر من آثار الإباضية. وحسب رأي شاخت أيضاً. فإن الإباضيين هم الذين أدخلوا الإسلام إلى جزء من إفريقيا السوداء.

والمعلومات الواردة في المصادر العربية في العصور الوسطى. وخاصة منها الإباضية تعطي لنا الحقيقة عدة أدلة مفيدة وموثوقة المصدر لفائدة التجار وبدون شك أيضاً لفائدة حملة العلم الإباضيين نحو السودان الغربي والأوسط من القرن الثاني إلى الثامن الهجري (الثامن إلى الرابع عشر الميلادي).

وقد أصبحت تيهرت. عاصمة الدولة الرستمية خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) بعد تأسيسها بقليل مركزاً لتجارة رائجة مع السودان (يحتمل أن يكون مع أوداغوست ومدينة غانا). وأثناء حكم الإمام أفلاح بن عبد الوهاب (205-258م) يوجد سفير إباضي في بلاط ملك غانه أو قاو. وتدل إشارة في كتاب السير للوسيانى

139 - موتيلنسكي: تاريخ بن الصغير. ص 71-65 من الترجمة. ماسكوري ص-41-74-5-63-7-51-3-1036.

140 - ليفيتسكي: ملاحظات حول تاريخ الإباضية للدرجيني في: 1936 XI.RO ص156.

141 - ليفيتسكي: واقعة تاريخ إباضية في 1934 REI ص66.

على أن الإمام أفلاح بن عبد الوهاب أظهر الرغبة أثناء حياة والده أي قبل سنة 205م في أن يقوم بزيارة بلاد السودان في جاو جاو (قوقو. قاو) ولكن الزيارة لم تتم لأن الإمام عبد الوهاب قد منع ذلك. وقد ابتدأ المذهب الإباضي أولاً في أوداغوست وذلك تبعاً للخط التجاري الذي يمر بمجينة سجلماسة عبر الصحراء الغربية. وأوداغوست هي: تاغداوست الحالية. في الجنوب الشرقي لموريطانيا الحالية) حيث نشاهد حول القرن الرابع الهجري فرقاً من القبائل الأمازيغية من نفوسة ولواتة ونفزاوة وزناتة ونحن على علم بأنها قبائل إباضية.

وتتحدث المصادر الإباضية للعصر الوسيط عن عدد من التجار الإباضيين - خاصة من بلاد الجريد - ينتقلون إلى غانة خلال القرن الرابع والخامس الهجريين. وقد وصل أحد التجار وهو الفقيه أبو موسى الوسياني إلى مدينة غايارا (غايارو) مروراً من واحة وارجلان وإلى قونديورو. قرب مدينة قايس الحالية على نهر السينغال. ومر وسط شعب وثنى. كما تقول الأخبار الإباضية. وليس من المستحيل أن الداعية المسلم الذي أدخل الملك الوثني في ملال (مالي) إلى الإسلام قبل سنة 400هـ كان إباضياً. ويمكن أن تكون صحيحة أيضاً تلك القصة التي رواها الدرجيني والشماخي حول نشاط الداعية الإباضي علي بن يخلف النفوسي. الذي أصله من بلاد الجريد. والذي أدخل إلى المذهب الإباضي الملك الوثني لمالي في أعماق غانا حول عام 575هـ. والواقع أنه يرجع الفضل لهذه الاتصالات في تواجد مجموعة إباضية في سنة 753هـ من بين السكان البيض. أي بين السكان الأمازيغ في بلدة زاغا وبين والاته والنيجر. ديورة الحالية.

ويبدو أنه توجد أيضاً في القرن الثالث الهجري علاقات تجارية بين جبل نفوسة وتكرور. المملكة السوداء التي توجد في السينغال الحالي¹⁴².

وتوجد معلومات كثيرة بخصوص تجارة الإباضيين في شمال إفريقيا مع السودان خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين تتعلق بالحملة الرائجة التي تنوجه إلى تادمكت. وهو المركز التجاري الهام في الصحراء الوسطى الذي يوجد في أدرار إيفوغاس. على الشمال الشرقي من منعطف نهر النيجر ولتزال خرائب هذه المدينة قائمة وهي تحمل اسم السوق. وهنا وخلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ولد أبو يزيد مخلد بن كيداد. وهو الذي ثار فيما بعد مع النكارية الإباضيين على الفاطميين.

ويشير البكري إلى الأهمية التجارية للطريق الرابط بين تادمكا والقيروان مروراً

142 - الشماخي: ص273.

بواحة وارجلان الإباضية وعن طريق تونس الوسطى حيث تتواجد بها مجموعة هامة من السكان الإباضيين حسبما تفيد لنا مصادر تاريخية أخرى.

وتوجد طريق أخرى للقوافل تربط بين تادمكا ومدينة طرابلس تمر على مدينة غدامس التي كانت بها مجموعة إباضية في القرن السابع الهجري.

ويعطي لنا المؤرخون الإباضيون في شمال إفريقيا بعض المعلومات خصوصاً حول العلاقات التجارية بين واحة وارجلان وبلاد الجريد وجبل نفوسة من جهة وبين تادمكا من جهة أخرى.

وبخصوص العلاقات التجارية بين الإباضية وبين السودان الأوسط (حول بحيرة تشاد) فإن المعنيين بالأمر مباشرة هم جَار طرابلس وفزان. وخاصة جَار جبل نفوسة. والدويلة الصغيرة الفزانية في زويلة (وهي زويلة الحالية) التي كانت بها مجموعة من السكان من سنة 145هـ والتي لازالت إباضية في عصر اليعقوبي في النصف الثاني للقرن الثالث.

وكانت زويلة تعتبر الباب المفتوح إلى السودان الأوسط. وتكاد تحتكر كل تجارة الرقيق في هذه البلاد. وكانت العلاقات متينة جداً بين إباضية جبل نفوسة وبين السكان السود في حوض بحيرة تشاد.

وقد كان والي جبل نفوسة التابع للأئمة الرستميين. وهو أبو عبدة عبد الحميد الجناوي (النصف الأول من القرن الثالث الهجري) يتكلم اللغة الكاتمية إلى جانب اللغتين الأمازيغية والعربية. أي لغة الكافوري تقريباً.

وهذه العلاقات التجارية تمارس على طول طريق قديم جداً تمر عبر فزان وكاوار. ويقول المؤرخون الإباضيون المحدثون¹⁴³ أن هناك إباضية في بلاد السودان في نهاية القرن التاسع عشر.

ن - إسبانيا وصقلية: انطلاقاً من المغرب. دخل المذهب الإباضي في تاريخ لاحق نسبياً إلى إسبانيا. ومن بين أعضاء الثوري الستة الذين يتعين عليهم أن يختاروا الإمام في سنة 168هـ بعد وفاة عبد الرحمان بن رستم يوجد اثنان من أصل أندلسي: مسعود الأندلسي. وعثمان بن مروان الأندلسي¹⁴⁴. وتوجد بقايا إباضية في إسبانيا في القرن

143 - الباروني: رسالة العامة والمبتدئين. طبع القاهرة سنة: 1324هـ ص4-23.

144 - ماسكوري والشماخي.

الخامس الهجري¹⁴⁵ وتوجد كذلك في جزيرة صقلية أقلية من الإباضية الوهبية حوالي القرن (الرابع - الخامس الهجري)¹⁴⁶.

العقائد الإباضية:

تشكل الإباضية مع فرقة الصفرية الفرع المعتدل من الخوارج ويتميزون عن بقية الخوارج المتطرفين الذين يتمثلهم الأزارقة في عدة مسائل. أشدها خطورة هي تلك التي تقضي بأن المسلمين الآخرين. عدا الخوارج يعتبرون كفاراً وليسوا مشركين كما يعتقد الأزارقة.

وتظهر نتيجة هذه المسألة في نظرية نفي الاستعراض الذي يطبقه المتطرفون الخوارج الذين يعتقدون بجواز قتل النساء وأطفال المخالفين. كما يمنعون استحلال أموالهم. ماعدا الأسلحة. ويستحلون الزواج بنساء غير إباضيات.

ونحن على علم مثلاً بأن ابنة الإمام الإباضي عبد الرحمان. تزوجت بالأمير الصفري في سجلماسة¹⁴⁷.

أما بالنسبة للنظريات الإباضية السياسية: فيجب الإشارة قبل كل شيء إلى أنهم يعتقدون. طبقاً لمبادئ الحكمة (وهم الخوارج الأولون) بأن وجود الإمام ليس ضرورياً. وتسمى هذه الحالة التي يمكن فيها الاستغناء عن الإمام بسبب الظروف السيئة: حالة الكتمان (أو السرية). ويقابل هذه الحالة عند الإباضية حالة الظهور أي إعلان الإمامة. والانتقال من حالة الكتمان إلى حالة الظهور يقرره المشايخ الإباضية في البلاد.

ويسمى الإمام الذي ينتخب بصفة عادية: إمام البيعة. (كما قد نجد أحياناً إمام الظهور)¹⁴⁸. أما الإمام الذي يتولى الأمر في حالة الكتمان للدفاع عن الجماعة إذا تعرضت للأذى فهو يحمل اسم إمام الدفاع. وفيما عدا هذه الأسماء فإننا نجد أيضاً إمام الأحكام. وإمام أهل التحقيق. ويسمى أحياناً الأئمة الإباضية. الأمير. أمير المؤمنين. أو أمير المسلمين.

ويسمى الأمازيغ الإباضيون في شمال إفريقيا أئمتهم باسم الملك¹⁴⁹. وتجدر الإشارة

145 - بن حزم: الفصل. ج 4 ص181-179.

146 - الوسياني: ص160-159.

147 - بن خلدون: ج 1 ص262.

148 - الشماخي: ص138.

149 - أبو زكرياء: كتاب السير. والبرادي.

إلى أن هذه التسمية الأخيرة تتنافى تماماً مع العقائد الخوارجية التي تقضي بأن فكرة الملك مخالفة للدين.

ينتخب الإمام من طرف مجلس للأعيان المدنيين أو من الشيوخ ويكون محايداً. ويعلن عنه بعد ذلك أمام الشعب. وكان الأئمة الأوائل يعينون عادة من طرف مشايخ البصرة. أي الرؤساء الروحانيين للمذهب مثل: أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي السلمي. رسول أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة من البصرة قام بتعيين الإمام طالب الحق.

وينحصر الانتخاب أحياناً في قبيلة. أو عائلة معينة (بنو الأزدي في عمان وبنو رستم في دولة تيهرت).

يجب على الإمام أن يحكم طبقاً للقرآن. وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وأن يتبع سيرة الأئمة الأولين.

يعتبر إمام البيعة قائد حرب. وقاضياً. ورجل دين. ويحكم كسيد مطلق بتطبيع الأحكام من دون أي تغيير فيها. ويعتبر مخالفاً للدين كل من يحاول أن يقيد من سلطة الإمام عن طريق الاشتراط. ومن هنا ظهرت قضية الطائفية النكارية. ويمكن أن يعزل الإمام إذا ظهر أنه لا يطبق الأحكام الشرعية. وأن الحكام الذين يقررون ما إذا كان الإمام متطابقاً مع الأحكام الشرعية أم لا لهم المشايخ وخاصة شيوخ البصرة.

ويبدو أن العمل جرى بالسماح بتواجد عدة أئمة إباضية. في عدة بلدان من العالم الإسلامي في آن واحد.

والواقع أننا وجدنا. في فترة تاريخية واحدة. أئمة إباضية في تيهرت وفي عمان وفي حضرموت... الخ. وقد جلى هذا المبدأ بصفة واضحة في عقيدة الهمزية أو الحمزية. وهي إحدى فرق الخوارج العجاردة التي تقضي بجواز تواجد عدة أئمة في وقت واحد إلى قيام الساعة.

غير أنه قد وجدت في العالم الإباضي فكرة تميل إلى إنشاء إمامة عالمية. وهذا ما تم فعلاً في أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي). ولكن لفترة محدودة جداً. ونشير هنا إلى الأئمة الرستميين الذين اعتبروا كذلك لمدة زمنية من كافة التجمعات الإباضية في الشرق والغرب. بالرغم من أن هذه التجمعات لا تستطيع في الواقع أن تتحد ولا تتوحد بسبب التباعد فيما بينها.

ويمكن أن نستخلص بين المصادر التاريخية. الكثيرة الغموض. بأنه بالإضافة إلى

الإمامة التي كانت قائمة. توجد أنظمة أخرى للحكم. وهي نوع من المشاركة كما هو الحال بالنسبة للحارث وعبد الجبار اللذين قال عنهما البرادي «مشاركون في الملك»¹⁵⁰.

وهذه الواقعة التي تنكر لمبادئ الخوارج الأساسية تضع فقهاء المذهب الإباضي في وضع حرج.

وتقترب. بصفة عامة. عقائد الإباضية. ونظرياتهم السياسية الدينية في عدد من المسائل الهامة. من عقائد أهل السنة.

ولا يختلف الإباضية عن المالكية إلا في بعض النقاط. من بينها نظريتهم حول مسألة خلق القرآن التي يجب أن تعتبر أشدها¹⁵¹.

ومن المؤسف. أن المصادر التي تتوفر عليها حالياً لا تسمح بأن نتبع بصفة أكيدة التطور التاريخي. حيث تداخلت العناصر المعتزلة مع الإباضية.

ويجب أن يلاحظ من جهة أخرى أن هذا التأثير الاعتزالي في الإباضية كان من الأهمية بحيث جعلت المؤرخ البكري يصف الإباضية بالواصلية الإباضية.

وقد أدت العلاقات بين هذين المذهبين إلى نشوء عدة مذاهب أخرى.

ونضيف أيضاً أن الإباضية كانوا من علماء الكلام الممتازين وأن أقدم عالم متكلم معروف في الإسلام هو إباضي يدعى بسطام بن عمر بن المصيب الضبي. الذي كان يعمل في هذه المدينة بين 77 و81 للهجرة¹⁵² وأن المتكلمين المعتزلة. الذين يعتبرهم علماء الإسلام هم أقدم المتكلمين فلم يظهروا إلا في القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي)¹⁵³.

الفرق الإباضية:

أصبحت الوحدة الدينية والسياسية للمذهب الإباضي بالتصاعد منذ الساعات الأولى بظهور عدة طوائف بسبب الافتراقات والخلافات مما أدى إلى تكوين عدة فرق جزئية. سياسية وعقائدية.

وقد بدأت هذه الخلافات أول الأمر في مرحلة الكتمان. و كانت ذات طبيعة عقائدية

150 - البرادي: ص172-170.

151 - ينظر في هذا سموغورزفسكي في: قصيدة إباضية حول بعض الخلافات بين الإباضية والمالكية. منشور في II.RO 260-268. ونلاحظ كذلك نوعاً من التطابق الموجود بين العقائد الإباضية والمعتزلة (قولتزيهر: العقائد. ص163-281. وكذلك نالينو في VII, RSO ص455-460.

152 - الشماخي: ص111.

153 - قولدزيهر: ص80.

محضة. وانضمت إلى ذلك فيما بعد طوائف أخرى نشأت عن أزمات سياسية سرعان ما أخذت شكل مذهب. كما هو الشأن في كل الأنظمة الدينية.

ومن بين الأسباب السياسية للافتراق المذهبي عند الإباضية. نذكر اثنان يبدو أن لهما أهمية خاصة وهما: المشاركة في الحكم التي مارسها الحارث وعبد الجبار. وفيما بعد قضية الشروط في الحكم المفروضة على الإمام وهي السبب الذي نشأت عنه طائفة النكار. وهي إحدى فرق الإباضية الأساسية.

ويعتبر الإباضية الوهبية أهم الفرق الإباضية. ويسمى الإباضية الوهبية في شمال إفريقيا أنفسهم بأهل المذهب. وكذلك بأهل الدعوة. وقد كان الإباضية الوهبية أكثر الطوائف عدداً وأهمها على الإطلاق. وتكاد تكون الباقية وحدها إلى يومنا هذا من بين جميع طوائف الخوارج. وهي تمثل الجناح المعتدل في الخوارج.

ونتعرض الآن إلى طائفة أخرى من طوائف الإباضية. وهم الحارثية: ويجب أن نعتبر المدعو حمزة الكوفي هو المؤسس لهذه الفرقة الفرعية في منتصف القرن الثاني الهجري وقد انفصل عن أبي عبيدة. رئيس مشايخ الإباضية بالبصرة. بقبول أفكار المعتزلة في مسألة القدر.

ومن بين علماء الإباضية الذين يرون رأي حمزة الكوفي نذكر: الحارث بن مزيد الإباضي الذي أخذت منه هذه الفرقة تسميتها.

وبالإضافة إلى الحارثية. توجد فرقة إباضية أخرى تشهد بتأثير أفكار المعتزلة على الإباضية. ونشير هنا إلى أولئك الذين يرضون بالخضوع لغير الله: وقد نشئوا في تاريخ لاحق. أي في منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وقد ظهرت في زمان أبي عبيدة خلافاً أخرى بين الإباضية بواسطة متكلم إباضي يدعى صالح بن كثير.

وليست لدينا معلومات محددة حول العقائد التي كان يقول بها شخص يدعى (سفيان). وقد ثار على نظرية أبي عبيدة الإباضية ولكنه تاب فيما بعد.

وننتقل الآن إلى الطارفية وهي الفرقة الإباضية التي تأسست في جنوب الجزيرة العربية من قبل عبد الله بن طارف. وهو أحد أنصار الإمام طالب الحق حوالي 129هـ وكان لها أنصار في المشرق خاصة. حيث كانت في منتصف القرن الثالث إحدى الطوائف الإباضية الثلاث المنتشرة هناك إلى جانب الوهبية والشابية أي النكارية.

يشكل النكارية إحدى الفرق الإباضية الأساسية التي لعبت دوراً هاماً في العصور

الوسطى. فقد أنشئوا عند نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إمامة في شمال إفريقيا منفصلة عن إمامة تيهرت.

وعلمنا أيضاً باسم الإمام النكاري الذي كان يعيش في هذه الفترة وهو: أبو عمار عبد الحميد الأعمى. وهو شيخ أبو يزيد مخلد بن كيداد. وقد ترك فيما بعد مكانه لأبي يزيد الذي انتخبه النكاريون شيخاً للمؤمنين الحقيقيين والذي الذي قاد الإمامة النكارية مع مجلس متركب من اثني عشر عزاباً. ويعتبر أبو يزيد متخلياً عن العقائد الإباضية بسبب سماحه الاستعراض أو القتل الديني. على غرار الأزارقة أو الصفرية المغاربة.

ويحمل النكارية في المصادر العربية أسماء أخرى مثل: الشعبية. اليزيدية. أو المستاوة. ويسمى المنتسبون إلى هذه الفرقة أنفسهم المحبوبين وكانوا كثيرين في المغرب. ومجدهم في عمان وفي جنوب الجزيرة العربية. ونذكر من بين علمائهم العالم هارون بن اليماني ويدعوه المؤلفون الإباضيون: هارون الخالف الذي لتزال أحى مجادلاته مع الوهابية محفوظة في المؤلف الإباضي السير العمانية.

لقد نشأت الفرقة الإباضية النفاثية في قنطرة من بلاد الجريد في بداية القرن الثالث الهجري تقريباً. ويأخذ مؤسسها نفاث على الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب تهاونه في الحرب ضد المسودة. أي الأغالبة. وسلوكه سلوكاً مترفاً. ويرى أن الخطبة بدعة يجب رفضها. وقد عرضت أفكار النفاثية في كتاب. قام بالرد عليه فيما بعد مهدي النفوسي الإباضي الوهبي: وهو العالم الكبير في إفريقيا للأسف الشديد فإن اياً من هذين الكتابين لم يصل إلينا. وقد كان أتباع نفاث موجودين في جبل نفوسة خلال القرن الخامس الهجري. وفي أقصى الجنوب التونسي في القرن السابع الهجري نجد بقايا لهذه الفرقة في يومنا هذا في غريان وجبل نفوسة تحت اسم النفاثي.

وقد تأسست الفرقة الإباضية الأخرى وهي: الخلفية من أسباب سياسية في طرابلس حول نهاية القرن الثاني الهجري. من طرف خلاف - أو خلف بن السمع وهو من أولاد الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري الحميري. ولم تتخذ طابعاً مذهبياً إلا فيما بعد. وكان أتباع هذه الفرقة كثيرون خاصة في الشمال الغربي من طرابلس.

وفي القرن الثالث الهجري ظهرت فرقة أخرى بين إباضية المغرب لأسباب سياسية وهو معتصب السلطة: بن مسالة الإباضي من قبيلة هواة الذي أسس دولة إباضية مستقلة حوالي مدينة تيهرت.

وقد نشأت الفرقة الإباضية المدعوة العمرية في بداية القرن الثاني للهجرة تقريباً من

طرف عيسى بن عمر أو عمير. وهم بعيدون عن الإباضية الوهبية بعداً كبيراً على حسب ما يراه أبو زكرياء الوردجاني. فبالنسبة للقرآن، فإن العمرية يقرؤونه على رواية عبد الله بن مسعود، وليس لهم أتباع إلا في شمال إفريقيا.

وتقترب عقائد العمرية بعقائد الفرقة الإباضية الأخرى الحسينية أو الحسينية وجاءت تسمية هذه الفرقة التي لم تنتشر إلا في شمال إفريقيا من اسم مؤسسها أحمد بن الحسين أو الحسن الطرابلسي الإباضي الذي يبدو أنه كان عائشاً في بداية القرن الثالث الهجري. وقد كان ديوانه معروفاً في وارجلان عند بداية القرن الرابع الهجري. وأتباعه كانوا موجودين في القرن السادس الهجري في بعض المناطق الموجود شرقي جبل نفوسة.

وفي منتصف القرن الرابع الهجري ظهر الفرع الإباضي للفارثية. ومؤسسها هو سليمان بن يعقوب بن أفلح. وهو من نسل الأئمة الرستميين والذي عاش في ورجلان وقد حرم أكل المعى الغليظ من الشاة ومن هنا جاءت تسمية هذه الفرقة (الفرث). ويمكن أن نقرر أن ديوان أحمد بن الحسين الطرابلسي هو الذي ترك بعض الأثر في أفكار سليمان هذا.

ولا نعلم أي شيء عن العصر الذي كان يعيش فيه المسمى سكاك المؤسس لفرقة إباضية أخرى فرعية تدعى السكاكية.

ويرى هذا الفقيه أن صلاة الجماعة والنداء إلى الصلاة بدعة ورفض كذلك السنة. ويعتبر الإباضيون الوهبية السكاكية مشركين. ولم يكن أتباع هذه الفرقة كثيرين وقد انقرضوا تماماً في نهاية القرن الخامس. ويبدو أنهم لم يخرجوا من قنطرة في بلاد الجريد.

وأتباع الفرقة الإباضية، الحفصية، الذين هم أتباع حفص بن أبي المقدم مؤسسها في وقت غير معروف، يعتقدون أن معرفة الله توجد بين الإيمان والشرك.

ونضيف كلمة أخيرة حول الفرقة الإباضية اليزيدية. أتباع يزيد بن أبي أنية (أو يزيد بن أنيس). وهي فرقة متميزة عن فرقة إباضية أخرى حمل نفس الاسم وهي النكارية. ومن جملة عقائدهم الأساسية أن الله سينزل قرآناً جديداً على نبي فارسي. ونرى كذلك أن يزيد قد ذهب بعيداً في نظريته حول فضائل الأمازيغ والفرس بالنسبة للعرب تلك النظرية التي تجد جذورها عند الإباضية الوهبية.

وكانت العلاقات بين هذه الفرق العديدة علاقات عدائية في الأصل. ويتحدث المؤرخون

أحياناً عن الحروب المختلفة التي تشنها هذه الفرق الإباضية وخاصة النكارية وبنو مسالة والخلفية على الرستميين. ولكننا نلاحظ بعد سقوط إمامة تيهرت محاولات صلح من حين لآخر بين هذه الفروع الإباضية.

وهكذا نجد مثلاً أن سكان منطقة زنور¹⁵⁴ الموجودة على الشاطئ الغربي لطرابلس والذين يتكونون من إباضية وهبية ونكارية وخلفية ونفائية يعيشون حياة مسالمة تحت قيادة مجلس مشترك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري يوجد على رأسه وهبي: خص النكارى بالأحكام القضائية. وصلاة شهر رمضان إلى خلفي والأذان إلى نفائي¹⁵⁵.



¹⁵⁴ - في الأصل زيزو عند المؤلف وهو تصحيف.

155 - ليفيتسكي: الفرق الإباضية، في ستوديا إسلاميكا 1958 IX ص 82-71.

156 عن بعض الأعراق الليبية الواردة في جوهانس كوريبوس



156 - هذا المقال هو ترجمة لبحث نشر في: [مجلة الدراسات الإستشراقية - Rocznik Orientalistyc- in Rocznik Orientalistyc- [zny]. في عددها الصادر سنة (1949م). بعنوان: [On some libyan ethnics of Johannis of Corippus]. لمؤلفه المتمزغ البولندي: [تادايوش ليفيتسكي Tadeusz Lewicki]. ترجمة الأستاذة: حنان بنوضي.

تعتبر قصيدة [Johannis sen de bellis Libycis] المشهورة التي أجزها [فلافوس كريسكنوس كوريبوس Flacuys Cresconius Corippus]¹⁵⁷ - الشاعر اللاتيني - عام (549م) وأثنى فيها على العمل البطولي لـ [جوهانيس تروغليتا Johannes Troglita]. وهو قائد بيزنطي هزم القبائل المتمردة في إفريقيا الشمالية عام (546م). فأعاد الهدوء والسلام إلى المناطق النائية من إمبراطورية [جستينيان Justinian's]¹⁵⁸. فاللائحة الغنية والأصلية لأسماء القبائل الليبية والأماكن والأشخاص كما هي مضمنة في عمل [كوريبوس] تمت دراستها عدة مرات. أولاً بواسطة المثقف الناشر لـ [جوهانيس] وهو [جي بارتش J. Partsch]¹⁵⁹. وكذلك بواسطة العالم الإنجليزي [أوريك بيتس O. Bates]¹⁶⁰ فعلى الرغم من هذه الدراسات فإن معرفتنا حول الأعلام الليبية لـ [كوريبوس] مازالت غير تامة. حيث هناك عدد من الأسماء الليبية غير معروفة حتى الآن. كما هناك بعض الكلمات التي تم تحديدها خطأً. لذلك فإنني في هذا المقال سأسعى إلى فحص أربعة تقسيمات عرقية كما هي محال عليها عند [كوريبوس].

1 - [موكتيانا مانوس Muctuniana manus]

إن اسم [موكتيانا مانوس] وجد فقط في [جوهانيس] (116/2). ويمكن أن يكون [موكتيانا مانوس] الذي ظهر في بيت آخر من القصيدة نفسها (200/2) يحيل على العرق نفسه أيضاً. فالمصطلح اللاتيني «منوس» «Manus» الذي له صيغاً أخرى يدل على أن كل منهما مرتبط بعدد من القبائل¹⁶¹. فـ «منوس» استعملها [كوريبوس] ليشكل بعض الأسماء القبائلية الليبية الأخرى. فنجد أيضاً [أوريسلينا مانوس Ureceliana manus]¹⁶² البيت رقم (390/2) وفي البيت (149/2) نجد [أوراستنا مانوس Aurasitana manus]¹⁶³.

157 - Ed. J. Partsch in Monum. Germ. Hist. Auct. Antiquissimi vol. III 2 (Berikini 1879).

158 - O. Bates, The Eastern Libyans, London 1914, p. 239 sq.

159 - In the Promium to his edition of Johannis.

160 - The Eastern Libyans, passim, especially p. 66 sq.

161 لمعرفة الكلمة اللاتينية يمكن الرجوع إلى المعجم المتخصص لـ

Du Cange, Glossarium mediae et infimae latinitatis, Niort 1884, sv.

162 هذا المصطلح يماثل تقريباً Urciliani لـ Vegetius. Milit. III 3 وكذلك للعرق الأمازيغي القديم وورجلان [Warjlan] أو [وارجلان Warglan]. (جنوب الجزائر) ويمكن الرجوع في معرفة هذا المكان إلى ابن خلدون في العبر.

163 إن سكان [أريس Aures] الحالية في مقاطعة قسطنطينة/الجزائر. هذه الجبال كانت تسمى [Au-] [paolc حسب Procopius (passim)] وجبل أوراس كما هو عند الجغرافيين المسلمين المتقدمين مثل ابن حوقل والبكري. والإدريسي.

فالقطعتين من [جوهانيس] تربط [موكتيانا مانوس] ببعض الأعراف الأخرى من المقاطعة الطرابلسية [Tripolitania]. فالأولى منها في (7-116/2) حيث يحيل [كوريبوس] على [موكتيانا مانوس] وكذلك على الشعب الذي يعيش في صحراء الساحل فقد أحال هذا الموطن بقوله:

Muctuniana manus camidis descendit ab oris Quae Tripolis deserta
« ...colit

فالأبيات التي تلي هذه الإجابة تتضمن بعض التفاصيل التي سوف نحاول من خلالها تحديد مكان تلك القبيلة بالضبط. فالسطور الأولى تبين لائحة قصيرة لخمسة أعراف ليبية يظهر أنها مرتبة في وضعها الجغرافي. كما أنها تمتد على طول الساحل في اتجاه الشرق من مدينة طرابلس. هذه الأسماء هي: [غادابيس Gadabis] (بيت 117) و[ديغديغا Di-gdiga] (بيت 119) و[فلانديا Velanideis] (بيت 120) و[بركاي Barcae] (بيت 123). فهذه السلسلة من الأعراف أعتقد أنها هي الحل لمشكل التعريف بهوية [موكتيانا مانوس].

إني أتفق مع [جي بارتش] في فهرست [جوهانيس] حيث اقترح أن تكون [غادابيس Gadabis] ربما مرتبطة بـ [غادابيتاني Gadabitani] في [كوريبوس] (3-562م)¹⁶⁴ وأنها احتلت في نفس الفترة المنطقة الموجودة في جدار مغلق من [لبدة الكبرى Leptis Magna]. حيث لبدة الحالية¹⁶⁵. أما اسم [ديغديغا] فيحيل بلا شك على موضع يسمى [ديغديغا Digdiga] أحيل عليه في دليل [رحلة أنطونينوس Itinerary of Antoninus] في (القرن الرابع)¹⁶⁶. من خلال هذا السجل. يظهر أن [ديغديغا] كانت واقعة في الطريق الذي يمتد على طول الساحل من لبدة إلى حدود سيرينيكيا (برقة). خمس محطات اتجاه الشرق من [إسكينا Iscina] (التي تسمى حالياً مدينة السلطان)¹⁶⁷. أما وضعية قبيلة [بالانديس Velanideis] فإنها افتراضية ومن الصعب أن نحدد هذا العرق. ولكن المؤكد هو أنها يقصد بها مكان ما في أرض مبللة مالحة (سبخة) التي تحتل السرت الشرق - منطقة شرقية من [هوديا Hudia] الحالية أو ربما في اتجاه الشرق من مكثار الحالية¹⁶⁸. في الحقيقة من خلال [جوهانيس] فإن

De aedif. VI 4 - 164

165 - قد يبدو صحيحاً ربما أن اسم [غادابيس Gadabis]. [غادابيتاني Gagabitani].

166 - بالنسبة لهذه الوثيقة يمكن الرجوع إلى:

A. Berthelot, L'Afrique saharienne et soudanaise, Paris 1927, p. 417.

167 - لقد وجدت هذا التعريف في:

E. Minutilli, La Tripolitania, 2 ed., Torino 1912, p.252 ; cf ; also p. 254

168 - انظر وصف هذا الجزء من [سيرتيكا Sirtica] في مينوتيلي Minutilli, pp. 254-257

[كوريبوس] (120/2) يربط مدينة [بالانديس] مع البلدة [ستاگنا Stagna] ولكن في غياب التفاصيل عن هذه الحقيقة. تبقى [بالانديس] من ناحية أخرى غير معروفة ما دامت لم يشر إليها أي مصدر آخر من قبل¹⁶⁹.

ما ذكرنا سابقاً تظهر قائمة لخمسة أعراف منتهية بقبيلة [بركاي]. وبواسطة هذا الاسم الأخير اكتسبنا عدداً من الحجج الثابتة. فمن خلال رأي [بيتس] فإن هذا المصطلح كان يطلق في العهد الروماني على مختلف القبائل الأصلية المجاورة لجالية [بركاي] (تسمى حالياً المرج). في [سيرينيكيا]¹⁷⁰ (برقة). فقد طابق [بيتس] بينهم وبين [بركاي] في [برجيليوس Vergilius]¹⁷¹ وكذلك مع [بركيتاي Barcetae] في [بطولومي Ptolemy]. ففي العهد البيزنطي كانوا بمثابة مؤشر يدلنا على شعب ليبي مختلف¹⁷². كما أن القبيلة الأمازيغية «بنو بركين» وهي فرع من «لواتة» التي كانت تقطن مصر في القرن الخامس كانت ربما أيضاً لها علاقة بـ [بركاي].

نرى الآن أن تلك السلسلة العرقية الليبية المذكورة في [جوهانيس] (116-123) وما تلاها من [موكتيانا مانوس] شكل ما يشبه سلسلة ممتدة نحو الشرق على طول الساحل من لبدة حتى غرب [سيرينيكيا]. ولهذا فمن المحتمل جداً أن تكون [موكتيانا مانوس] التي بدأت بها القائمة المذكورة. قبيلة واقعة في أقصى الغرب من هذه السلسلة. ومن المؤكد أن تبحث في مكان ما باتجاه الغرب في أرض تابعة لـ لبدة الحالية.

هذا التوقع معزز بإحالة ثانية من [كوريبوس] (219-220) يشير فيها إلى هذه الشعوب. هذه المرة ذكرت [موكتيانا مانوس] بين [أوستور Austur] و[الإلغواس Ilaguas] اسمين لقبيلتين الأولى منهما بلا شك مطابقة لـ [أوسورياني Austuriani] لـ [أميانوس ماسيلينوس Ammia-] (26) [nus Marcellinus] (4,5) وكذلك (6,2/28) كشعب يعيش على النهب في الجزء الداخلي من

169 - ربما أن هذا الاسم استخدم في: The Balanagrae of Pausanias, in Cirenaica الذي كان عرقاً ليبيا مازال باقياً في [سيرينيكيا Cirenaica] فالمؤرخين الإسلاميين الأوائل ذكروا فرع من لواتة تسمى بنو بلاين كما هو الشأن عند ابن خلدون. وعند المقرزي بنو بلار مقابل بلان. هذه القبيلة عاشت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر في إقليم [بهنيسة Behnese] بمصر. انظر المرجع المذكور لـ [بيتس] (ص 69). ولربما هو الشعب نفسه الموجود في [بلانديس Veandei(s)] فالحقيقة تظهر أن كثرة وجود [b=v] مترادفة في وصف الحروف اللاتينية بالنسبة للأسماء الأجنبية تجعل هذا التحديد ممكناً. إضافة إلى هذا. في اللهجات البربرية المعاصرة فالصامت الشفوي [b] و [v] متساويين Bates (ص 76) كما أن التعريف [idei(s-)] كان غالباً ما يستعمل في أسماء القبائل الليبية (نفسه ص 77).

170 - O. Bates, P66.

171 - Aen. IV 44.

172 - O. Bates, l.c.

المقاطعة الطرابلسية كذلك نجد مع [أوسورياني Austuriani] لـ [بريسوس بانيتس Prisos Panites]¹⁷³ أن [الإغواس] قريبة من [الإغواتن Ilaguten] التي حُدِدَت من قِبَل [كوريبوس]¹⁷⁴. فهذا الاسم يبدو انه أمازيغي وهو جمع مذكر من صيغته الأصلي [لاگوا Laguna] أو [لاوا Lawt]¹⁷⁵ وتعني الشعب الأمازيغي الشرقي القديم الذي كان يسمى بالليبي في المصادر القديمة [لواتا Leuathae] مقابل [لوكاتا Leucathae] كما هو في [بركوبوس Procopius]¹⁷⁶ وكذلك يسمى لواته عند المؤلفين المسلمين القدامى¹⁷⁷. فقد لاحظ [بيتس] في (المرجع المذكور ص67) أن هذه الشعوب انتشرت في مساحة شاسعة من المقاطعة الطرابلسية في العهد البيزنطي. ومع ذلك في خريطة حول ليبيا البيزنطية في (المرجع المذكور ص67) خريطة (رقم 10) قد ظهروا مجاورين للبدية لأنه كما ذكرنا بذلك هذا العالم. فهناك أشياء توضح احتلالهم لهذه المنطقة في (543م). لذلك نجد في قطعة من [جوهانيس] أيضاً في (116/2) أن مصطلح [موكتيانا مانوس] الذي سبق خليله يقع مجاوراً للبدية.

فهناك حقائق لاعتقاد أن الأول من هذه الصيغ المتطابقة لحي من التحريف في العصور الأولى من قدوم الإسلام في مكان يسمى [المجتني al-M.g.T.ny] وأن هذا الاسم استعمل من قبل بعض الجغرافيين العرب للدلالة على موطن يقع في الطريق الممتد من لبدية إلى اطرابلس (طرابلس المدينة) على طول البحر الأبيض المتوسط. ولقد وجدنا هذا الاسم محالاً عليه في مدونة قدمت من قبل الجغرافي المسلم بن خرداذبه (232هـ/846م) في كتابه المسالك والممالك (ص86) كما تكررت بعد هذا المصدر مع قدامية (في القرن العاشر) في كتابه «كتاب الخراج» (ص224) وكذلك عند الإدريسي (كتب في 1154م) في كتابه «نزهة المشتاق» (ص122).

173 - F. H. Gr. IV, p. 98.

174- O. Bates, p. 67.

175 - فاللاحقة [سـ s] الموجودة في [الإغواس Ilaguas] هي بلا شك لاتينية. بالنسبة لهذه الصيغة قصد صياغة جمع المذكر في الأمازيغية المعاصرة كما أشار: [موتيلنسكي A. de C. Motylinski] (ص10-12). أما بالنسبة لـ [گو gu] في اللاتينية فإنه لا يشكل شيئاً في صيغ [كوريبوس] لكنها نسخة طبق الأصل للمصوت الليبي الأصلي [و w] فرأينا مدعم بطبيعة الأداء في [كوريبوس] بالنسبة للسابقة [وار war] الذي يبتئ به بعض أسماء القبائل الليبية (كما هو في الأعراف الأمازيغية القديمة مثل: وارسطيف، واردة، وارفلة، انظر اليعقوبي ص346). أو تُكَب بـ [گوار guar] مثل: گواريزيلا [Guarizila].

(Johannis IV 366 : *War-Izil = 'son og Izil' or 'son of the ostrich', Guarsana (ibid., VIII 266), Guaritias (ibid., IV 758) etc.

176 - (var.) (De aedif. VI 4 ; De bello Vand. II 21 sqq. ; hist. Arc. 5)

177 - Bates, p. 67.

التهجية المتعلقة باسم هذا الموطن المذكور في المصادر العربية المخطوطة السابقة تختلف على مستوى التلفظ بالقدر الذي ساهتم به. فإنني أعتبر الصيغة [المجتني al-M.g.t.ny] هي الأفضل وهي موجودة في الإدريسي في المصدر السابق. وفي الإحالات العربية الأخرى هناك مصطلح مغاير [المجتني al-M.g.t.ny]¹⁷⁸ أو [المجتني بدون نقط]¹⁷⁹. ففي الترجمة الفرنسية للمؤلف بن خرداذبه كان هجاؤه [المجتني al-Mohtani]¹⁸⁰ أما [دوزي Dozy] و[گوز Goe-je] فقد قرأه [المجتني al-Magtana]¹⁸¹ (بألف مكسورة). لكن لم توجه عناية كبيرة إلى هذه الطريقة من التلفظ. التي يظهر من الأخرى أنها غريبة وبالتالي قد تساعد على توضيح اسم الموطن المحال عليه. فأرى أنه من الأفضل أن تتمم الحركات المفقودة (بعد الصامت الأول و الثالث) [أ - و a_u]. وقد حاولت أن أتلفظ هذه الكلمة بـ [المجتني al-M(u)qt(u)ni] فيمكن أن نحذف [ال al] التي تعتبر أداة التعريف في العربية وكذلك الأخير [ي_ا] الذي يدل في العربية على النسبة ثم نحصل على [مجتن M(u)qt(u)n] وكما نعلم في العربية أن طبيعة الحرف [ج g] يمكن أن يتحول إلى نطق أصلي [گ g] الذي لا يوجد في الكتابة العربية.

في نهاية الأمر أجدني أميل إلى قراءة هذه الصيغة المحللة بـ [موگتون M(u)gt(u)n]. فهذه التهجية المتعددة يبدو أنها تتوافق بدقة مع [موكتيانا Muctuniana] الموجودة عند [كوريبوس] فالعنصر الأخير [يانا iana] يوجد بلا شك في «لاحقة النعت suffix» في اللاتينية. ثم طبق على العرق الليبي المفترض [مكتون Muctun] فالفرق الوحيد بين [موگتون Muctun] و[موگتون M(u)gt(u)n] كما جاء في المصادر الإسلامية القديمة يتعلق بـ «الصامت consenant» الثاني الذي نطق [كـ k] عند [كوريبوس] و[گـ g] عند العرب. هذا الاختلاف يمكن أن يوضح بطريقتين:

أولاً: ربما قد تعكس تعدد ظاهرة اللهجات في اللغة الليبية¹⁸². أو ثانياً: يمكن أن يعتبر خطأ في التهجية من قبل [كوريبوس] كشأن عدد من المؤلفين الآخرين من اليونانيين

178 - ابن خرداذ به المسالك والممالك (ص86) مخطوط.

179 - ابن خرداذ به مصدر مخطوط.

180 - مرجع مذكور ترجمة (ص62).

181 - مرجع مذكور ترجمة (ص143).

182 - بالنسبة لمرادف هذه [الحلقيات velars] في اسم المكان الليبي القديم. يرجع إلى [بيتس] في المرجع المذكور (ص78) المصطلحات : Magru = Marcru and Tings = Tinci , وكذلك H. Mercier في كتابه : La langue libyenne, Journal Asiatique 1924, p. 242. كما أن هذه المترادفات في النطق توجد في الأمازيغية المعاصرة. يرجع إلى: [بيتس] (ص75).

واللاتينيين. حيث يقرؤون الصوت الليبي الأصلي [g] مثل [k] [183].

من خلال ما ذكره كل من بن خرداذبه وقدامه أن موقع [المجتني] [al-M(u)at(u)na] أو [المكتني] [al-M(u)gt(u)ni] كان يقع 44 ميلاً باتجاه الشرق من مدينة طرابلس التي نعتبرها محطتنا التي لا تهاجم¹⁸⁴. مثل هذه المسافة بلا شك تطلق في العربية على الأميال التي تقدر بحوالي 1.975 كلمتراً بدلاً من ميل¹⁸⁵. فيكون معادلاً بالنسبة لـ 86.9 كلم (تقريباً 53.9 ميلاً إنجليزياً). فالمسافة المقدره بواسطة خريطة حديثة تظهر أنه على طول الطريق الحالية الرابطة بين طرابلس ولبدة يوجد إشارة لموطن خراب واقع بجانب قرية وميناء صغير يسمى الآن سيدي عبد العاطي¹⁸⁶. لكن النقطة الحالية التي يقع فيها موقعنا ما زالت غير مضبوطة. فاسمها لا ينطبق على اسم مكان تلك البلدة. فموقع [المجتني/المكتني] في اتجاه الغرب من لبدة. كما أكدت سابقاً هذا يتفق مع الترتيب الذي قدم حول [Muctu-niana manus] في اللائحة الحال عليها حول القبائل الليبية في [جوهانيس] [123-116/2]. ففي هذه اللائحة تبدو [Muctuniana] سابقة [غادابيس] [Gadabis] وبالتالي يمكن أن تكون هذه القبيلة قاطنة باتجاه الغرب في منطقة لبدة التي كانت مستعمرة من قبل [غادابيس] [Gadabis/Gada-botani]. وبناء على هذا لا يوجد هناك اعتراض حول منظور الجغرافي كون أن الشعب الليبي [مكتن] [Mugtun]. والذي كان يطلق عليه [Muctuniana manus] من قبل [كوريبوس]. كان استقر في هذه البلدة خلال القرن السادس. كما أن هناك بقايا وجدت تدل على تواجدهم في الفترة الإسلامية القديمة في موقع يسمى [المجتني/المكتني] وقد عثر عليها في نفس النقطة من ساحل المقاطعة الطرابلسية حوالي ثلاثمائة عام بعد مجيء الإسلام¹⁸⁷.

فالعرق [Mugtun/Muctuniana] من ناحية أخرى غير معروف. لكن المعادل لـ [Muctuniana manus] كما ورد في [جوهانيس] [219/2] يمكن أن يكون مرتبطاً ببعض أسماء القبائل الليبية التي

183 - المقارنة في المثال المذكور تبين أن وارجلان مقابل [أوركليانانا] [Urceliana] عند الجغرافيين المسلمين القدامى.

184 - كما هو مشار إليه في كتاب المسالك (ص86) وكتاب الخراج (ص224).

185 - Nallino (Il valore mertico del grado di meridiano secondo i geografi arabi. Raccolta di scritti editi e inediti, vol. V, Roma 1944, p. 457)

فمسافة الميل العربية حوالي 1.973م لكن المسافة الحالية حوالي 1.975م.

186 - يرجع بالنسبة لهذه المنطقة إلى [مينوتيلي] [Minutilli] في المرجع المذكور (ص183).

187- أميل أيضاً إلى الارتباط بالعرق [مكتن] [Mugtun]. أما غموض القبيلة الأمازيغية [محننا] [M.h.n.ha] التي ذكرها اليعقوبي. وأنها موجودة حسب هذا الجغرافي في اتجاه الشرق من تاورغا في منطقة سرت. انظر كتاب البلدان (ص344). ففي الحقيقة أن هذا الاسم يمكن أن يعتبر خطأ وقع في أصل [مجنتنا] [M.g.t.na] فقرأت [M(u)gt(u)na/M(u)gt(u)na].

كانت مذكورة في المصادر اليونانية واللاتينية القديمة. فهذه النقطة المتبدلة تستجيب معظمها لافتراض ليبي [موتون] [Mutun] أو ربما أيضاً [موطون] [Mutun]¹⁸⁸. فهذه العودة الأخيرة تفتح أمامنا آفاقاً جديدة تجعلني أشك كثيراً في أن [موتون] [Mutun] هو نفس الشعب الذي كان اسمه قرئ (من خلال قواعد التهجية اليونانية واللاتينية التي اهتمت بأواخر الكلمات الليبية)¹⁸⁹.

فالفرق الوحيد بين [موتون] [Muctuniana] عند [كوريبوس] و[موسونيا] [Musuni] إلى آخره .. من الإحالات المذكورة في الهامش حيث أن المؤلفين القدامى استطاعوا أن يوضحوا بشكل كاف ما يمكن أن يعول عليه فيما يخص الاختلاف المتصل بالصوت الليبي الأصلي [ت] [t] التي عرض من قبل المؤلفين القدامى على أنه [س] [s] وكذلك في [جوهانيس] بعد بعض مئات الأعوام الأخيرة بـ [ت] [t]¹⁹⁰.

فـ [موسوني] [Musuni] عند [بطولومي] في الغالب أنه كان يقصد مكاناً مجاوراً من سوق الأربعاء في اتجاه الحدود الحالية بين تونس وولاية قسطنطينة¹⁹¹. وعلى الرغم من أن [Muctu-niana manus] حسب [كوريبوس] يظهر أنها استعمرت جزءاً ضئيلاً من الساحل الأوسط من المقاطعة الطرابلسية. يتأكد افتراضنا بكون هذه الشعوب في اتجاه الشرق الذي ربما أخذ موقعه بين القرنين الرابع والسادس في فترة الانتشار (الترحال) العظيم للشعب الليبي¹⁹².

نصل الآن إلى الخلاصات الآتية فيما يتعلق بـ [موكتنيانا/موتونيانا مانوس] [Muctuniana/Mu-tuniana manus] كما وردت عند [كوريبوس]:

188 - فالنغيب من [Mutun] إلى [Mugtun] هي عبارة عن نقط الاختلاف الموجودة بين اللهجات الليبية المختلفة.

189 - Mussini by Pling, Nat. Hist. V. 4, Musuni by Ptolemy IV. 3 and Musunei by Julius Honorius, p. 54.

190 - بالنسبة لهذا الإشكال يرجع إلى [ج. مارسسي] [G. Mercier] في كتابه: La langue libyenne, p.243. فالأصوات [t] و [s] هي عادة متشابهة في اللهجات الأمازيغية المعاصرة كما هو عند [بيتس] (مرجع مذكور ص75).

191 - O. Bates, p. 58-65 Berthelot: L'Afrique saharienne et soudanaise, p. 341.

192 - بالنسبة لهذه الهجرة التي غيرت تماماً علم الأعراق في المنطقة الشرقية لشمال إفريقيا يرجع إلى [بيتس] (مرجع مذكور ص237) هجرات لـ Austuriani في نهاية القرن الرابع وكذلك (ص238) (فالهجرة العظمى لقبيلة لواتة بعد (543م). فرما أن مهاجمة [مازيكس] [Mazices] و[أوستورياني] [Austuriani] لـ [سيرينيك] نحو (491م) كما جاء في [بيتس] (مرجع مذكور ص238) كانت لهم علاقة بالضغوطات من قبل غالبية الشعب الليبي الغربي ضد المقاطعة الطرابلسية.

1- إن اسم هذه القبيلة تظهر عند [كوريبوس] معادلة لصيغتين :

(أ) [موكتون/موتون] [Muctu/Mutun] التي كانت قاطنة في مكان يسمى [مكتن/المكتني/المجتني] [ai-M(u)at(u)na / al-M(u)gt(u)na / Mugtun] كما هو مدون في العصر الإسلامي الأول.

(ب) [موتون/موطون] [Mutu/Mutun] فهذا الأخير (موطون) يشير إلى نفس العرق الذي هجي خطأ [موسيني/موسوني] [Mussini/Musuni] كما ورد عند بعض المؤلفين القدامى.

2- أن القبيلة الليبية [موتو/موكتون] [Mugtun/Mutun] التي من المحتمل جداً أنها أتت من الشمال الغربي لتونس الحالية. واستقرت في العهد البيزنطي في ساحل المقاطعة الطرابلسية بين اطرابلس الحالية و لبدية فاسمها ما زال حياً في القرن التاسع حيث إن السجل الجغرافي العربي لأسماء الأماكن المذكورة. ذكر اسم مكان [المجتني/المكتني] على أنه كان واقعاً على نشاطى البحر تقريباً على نحو 53.9 ميلاً إجلزياً في اتجاه الشرق من مدينة طرابلس.



2 - [إفراك Ifurac]

هذه القبيلة الليبية مسجلة فقط في [جوهانيس] [648-490/8-641/4-412/3-115/2] ولم تظهر في غيرها من المصادر القديمة الأخرى. ف [إفراك/إفراكس] [Ifuraces/Ifurac] من خلال الأبيات الشعرية التي أحالت عليها. عبارة عن جزء كبير [مرمريدا] [Marmaridae] وهي جماعة ليبية. استعمرت بالدرجة الأولى [مرمرিকা] [Marmarica]. إلا أن جزءاً منها يمتد نحو الغرب حيث سرت العظمى. ويقدر ما يمتد نحو الجنوب حيث واحة سيوى الحالية¹⁹³. لهذا نتوقع أن تكون [إفراك] فرعاً من الجنوب الغربي لـ [مرمريدا] يسمون بـ [الشعب السرتي] [Sirticus]¹⁹⁴.

فلا اتفق مع رأي [بيتس] في (المرجع المذكور ص67) الذي حدد [إفراك] داخل المقاطعة الطرابلسية واقترح أنها كانت متشابهة (إلى حد ما) مع القبيلة الأمازيغية التي تسمى بنو إفران وهي معروفة جداً عند المؤلفين المسلمين في القرون الوسطى. وفي الواقع. فإن [إفراك] كما قيل سابقاً. ترتبط بمنطقة سرت التي تحتل الساحل الشرقي من المقاطعة الطرابلسية الحالية. ومن جهة أخرى فإن المقاطعة الطرابلسية تعتبر جزءاً من بنو إفران التي عاشت في الفترة الإسلامية الأولى تحت اسم جبل يفرن الذي ينحدر جهة الشرق من جبل نفوسة وباتجاه الجنوب من مدينة طرابلس التي ما يزال يوجد بها مقاطعة صغيرة سميت باسمهم¹⁹⁵. إضافة إلى هذا التغيير من الحرف [ك] إلى الحرف [ن] في نهاية كلمة [إفراك] قبله اللغة الليبية الأمازيغية بصعوبة.

لهذا. فإن [إفراك] حسب [كوريبوس] تختلف عن «بنو إفران» عند المؤلفين العرب في القرون الوسطى. وأود أن أشير أيضاً إلى أن هذه الصيغة استعملت من خلال إشارات [كوريبوس] لدلالة على [إفراك] أو [إفراك] الأصلية. فالصوت الأخير [ك] [c/k] قد يكون هجي خطأ في اللاتينية وهم يقصدون [ك] [g] الأصلية¹⁹⁶. فعندما نحاول تطبيق هذه القواعد من اللغة البربرية إلى مصطلحات اللغة الليبية فإننا نحصل على أن [إفراك/إفراك] [Ifurak/Ifurag] هو بلا شك مسمى أمازيغي «داخلي» لجمع المذكر ويفترض أنها

193- فامتداد [مرماريدا] [Marmaridae] حتى سرت الكبرى نقلا عن [سكايلاكس] [Scylax] حوالي (320 ق.م) [بليني] بالنسبة لموقع وتاريخ [مرماريدا] يمكن الرجوع إلى [بيتس] (مرجع مذكور ص56-54 و66).
194- J. Patsch ed. Johannis, index s. v. and Proemium, p. XIII.

أمير قبيلة أفرك كان يسمى [كركاسان] [Carcasan] وكان رئيساً على جميع [مرماريدا].
195 - بالنسبة لهذه القبيلة الأمازيغية يرجع إلى ابن خلدون. في العبر في تاريخ البربر.
196 - حاولنا سابقاً بيان أن المؤلفين اليونان واللاتينيين قرأوا خطأ الحرف المهجور [ك] [g] بالحرف الملموس [ك] [c/k].

مصاغة من المفرد [فرك/فرگ [Faruk/Farug] أو [فارك/فارگ [Farek/Fareg]¹⁹⁷. فهذه الصيغة الجديدة من الغرب أن تكون مثابها للموطن الذي يسمى الفاروج الذي ذكره من قبل بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل في وصفهم للطريق الممتدة على طول شاطئ البحر لمدينة اجداية في [سيرينيكيا] (برقة) باتجاه الغرب نحو مدينة سرت (التي تسمى اليوم بمدينة سلطان)¹⁹⁸. فقد أشير إلى هذا الموطن في كلام اليعقوبي (المرجع المذكور ص344) والبكري (المرجع المذكور ص12) والإدريسي (المرجع المذكور ص135) حيث إن هذا الأخير يحتمل جداً أنه كرر المعطيات التي أوردها اليعقوبي¹⁹⁹. فمن خلال القيمة التي تتعلق بالصوت [ج و] في التهجية العربية خصوصاً في الكلمات اللببية (انظر السابق ص120) يمكن أن نقرأ الاسم الفاروج فعندما نحذف أداة التعريف الـ نحصل على صيغة جديدة [فاروج [Farug] فهي تماثل تلك التي وردت حسب [كوريبوس] في جمع المذكر [إفراك] تفرد بـ [فاروج].

من خلال بعض النصوص في إحالات الجغرافيين المسلمين فإن [الفاروج / الفاروج] كانت نقطة مهمة على شاطئ المقاطعة الطرابلسية حيث توجد الطريق المنحدرة من اجداية باتجاه سرت (مدينة سلطان) ثم من اجداية باتجاه واحة زلة حيث تم تشعبهم. فقد حدد اليعقوبي (مسافة المرحلة) بمقدار سفر يوم باتجاه الغرب من اجداية، وأربعة أيام باتجاه الشرق من سرت²⁰⁰. وكما نعلم أن مسافة المرحلة الواحدة تعادل (18-36 ميلاً عربياً)²⁰¹ التي هي (69.3-33.55 كلم). فيجب أن نبحت عن [الفاروج/الفاروج] بين [مرسى نرسك [Marsa Namaresc] و[مرسى البريجة [Marsa el-Brega] قرب شاطئ البحر. من ناحية أخرى حسب البكري (ص12) أن هذا المكان يقع في نهاية طريق الصحراء العظمى التي تربط واحة زلة مع الساحل الممتد جنوب غرب اجداية.

فهذه التحديدات تظهر أنها تحدد بدقة الرقعة التي توجد بها [الفاروج / الفاروج]

197 - مثلاً في لهجة جبل نفوسة صيغة جمع المذكر: نزلواغ نقوطاس مكون من المفرد زالغ (التيس) وقاطوس (قط) يرجع إلى :

(A. de C. Motylinski, Le Djebel Nefousa, p.10)

198 - لقد وجدت هذا التحديد في [مينوتيلي] (المرجع المذكور ص252) الذي في قطعة أخرى من عمله أيضاً يحيل على [أسينا القديمة [The ancient Iscina].

199 - في طبيعتهما حول الإدريسي. تبنى [دوزي و كوز] في (صفحة135) هذا المسمى المنقوطة خطأ الفاروخ (بالحاء المعجمة).

200 - أعطى البكري المسافة الأخيرة خمسة مراحل في الطول.

201 - Amari - Schiapparelli, L'Italia descritta nel Libro del re Ruggero, Roma 1883, p. XIII.

أبو الفداء (القرن الرابع عشر) حدد مسافة سفر يوم تعادل 8 فراسخ يعني 24 ميلاً عربياً (47.4 كلم) من خلال جغرافية أبي الفداء طبعة [ريناود [Reinaud]. (ص72).

فقد كانت هذه النقطة مر القافلة الآتية من زلة حيث ملتقى الطرق المؤدية إلى اجداية ومدينة السلطان المجاورة لـ [غاتافية [Gatafia] الحالية. ولهذا يمكن بلا شك تحديد [الفاروج / الفاروج] على أنها بين هذا الموطن الأخير وشاطئ البحر. يعني في المنعطف من سرت المدينة فبعض الخرائط حول المقاطعة الطرابلسية تظهر في هذا الجزء من ولاية طرابلس برقة منطقة حدود لمصب نهر كبير يسمى [وادي فارغ [W. Fareg] يوجد في قعره عدد غزير من المستنقعات والآبار²⁰². فهذا الوصف لمصب وادي فارغ يظهر أنه مطابق لموطن [الفاروج/الفاروج] الواقع حالياً حسب وصف البكري وسط أرض مبللة ومالحة. وكان مجاور لآبار. لكن مع الأسف. فإن هذا الموطن يستحيل أن يحدد موقعه بدقة لحد الآن. لكنني أميل إلى الاعتقاد بأن كلا الاسمين يعني [الفاروج/الفاروج]. وكذلك صيغة المفرد حسب [كوريبوس] [إفراك] يعني فرك وفارك فهذا الأخير يتشابه مع المصطلح الليبي المفترض فارغ الذي يمكن أن يماثل صيغة فاروج²⁰³.

لهذا. فمن المحتمل جداً. أن يكون [إفراك] قد عاشت في العهد البيزنطي. وربما أيضاً في العهد الإسلامي الأول في منخفض وادي فارغ بالقرب من سرت الكبرى. وتمثل الفرع الموجود أقصى الغرب من [ممريدا]. ويمكن إعطاؤها اسم [الفاروج/الفاروج] من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر هذا الاسم الذي كان محطة مهمة في الحدود بين سيرينيكيا وسرت. مع القصر الذي هدم في زمن البكري (أي في القرن التاسع)²⁰⁴.

202 - الوصف الهام حول وادي فارغ قدم من قبل [مينوتيلي] (المرجع المذكور ص301-257).

203 - انظر السابق (ص124).

204 - كتاب المسالك (ص12).

3 - [Gadaiae] [جادايا]

فهذا الاسم الذي ورد فقط في [جوهانيس] (285/6) وقد قدم في اللاتينية بصيغة الجمع المنصوب [كادياس Gadaias].

« Siccās superare Gadaias »

أما [كوريبوس] فلم يقدم أي مفتاح لتحديد هذا العرق. أما [مازوشيلي Mazzuchelli] أول ناشر لـ [جوهانيس] فيرى أن هذه الكلمة خاطئة. وأن المفترض والصحيح هو صيغة [جادابيطاني Gadabitani]. فهذه التوضيحات لا تبدو مقنعة. وكذلك تأويل [جادايا Gadaiae] على أنها غات (واحة) توجد في الجنوب الغربي من المقاطعة الطرابلسية²⁰⁵. فهذا التحديد يستحيل مطلقاً. خصوصاً إذا علمنا أن اسم غات هو الاسم الحديث لها. وأنه لم يظهر في أي مصدر إسلامي قديم قبل (القرن الخامس عشر الميلادي) أو نحوه. ف [جادايا] من ناحية أخرى غير معروفة. وما يمكن قوله عنها أنها تنتمي بلا شك إلى مجموعة الشعوب الليبية التي ظهرت في مشهد [جوهانيس تروجليتا Johannes Troglita] يعني في تونس الحديثة والمقاطعة الطرابلسية. وإذا كنا قد أحننا على المقاطعة الطرابلسية كأصل بالنسبة لهذا الاسم من خلال افتراض [مازوشيلي] و[توكسيير Tauxier] يمكن أن نتصور جادو المركز السياسي القديم بجبل نفوسة الذي ينطق جادو أو جادوا في بعض السجلات الإسلامية الأولى. فمن المستحيل أن نقول أن جادو كانت موجودة في زمن [كوريبوس]. لكننا نعلم أن هذا الموقع يوجد سابقاً في القرن التاسع أي حوالي الثلاثمائة سنة الأخيرة. حيث كان يحال عليه غالباً من قبل المراجع المذهبية في كتب الإباضية كما هو الشأن مثلاً في الكتاب المشهور «السير للشماخي» (ق. 16م)²⁰⁶. وكذلك عند عدد من الجغرافيين العرب في القرون الوسطى كـ البكري (ص9) الذي ركز في روايته عن جادو على ما هو مهمم بالنسبة لهذه البلدة. ففي الوهلة الأولى يظهر أن الاسمين [جادايس Gadaias] و[جادو] ينتميان إلى أصل مختلف. غير أن هناك بعض الإشارات التي تدل على أن الأول تبدل إلى الأخير. فالاسم كما هو محال عليه عند [كوريبوس] يشير في الحقيقة إلى [جاداي Gaidai] الذي يمكن أن يكون هو نفسه. إلا أن قراءة اللاتينية لمصطلح ليبي

205- المرجع نفسه.

206 - هذا العمل المعتمد على عدد من السجلات القديمة للإباضية. والذي يتضمن عدداً من التفاصيل الدقيقة والمهمة حول جبل نفوسة. نشر في بولاق/1301هـ. أما بالنسبة لـ جدو / جادو فيمكن الرجوع إلى :

A. de C. Motylinski, Le Djebel Nefousa, Paris 189899/, p. 89

قديم مفترض هو [جاداي/جاداي Gadai/Zaday]. حيث إن [ك] تحولت في وقت ما في المصادر اليونانية أو اللاتينية إلى صوت أجنبي [ج] ²⁰⁷. فافتراض أنه لا توجد صعوبة في الربط بين [جاداي/جاداي Gadai-/Gaday] و[جادو] ما عدا في اللواحق التي تختلف في تحليل كل منهما : [اي- ay-] في الصيغ المحددة من [كوريبوس] و[او- a/-o-] في المدونة الإسلامية لأسماء الحاضرة الشرقية لجبل نفوسة. فالاختلاف ربما راجع إلى التشكل اللهجي في اللغة الليبية. وإن كان من الممكن أن نجد أنفسنا أمام خطأ في [كوريبوس] الذي قرأ [جاداياس Gadaias] بدل من [جادواياس Gadorias].



207 - فيما يخص وصف لحن الصوت يمكن الرجوع إلى : G. Mercier, o. c., p. 244

فهذا الاسم الذي مازال لم يحدد حتى الآن يبدو أنه يدل على موقع أو مدينة. فقد أشير إليه فقط مرتين في [جوهانيس] (486/6-77/2) الذي نعتته بكونه أرض صحراوية. بدون معطيات أخرى. دقيقة على الرغم من إمكانية وجودها. في الواقع. أشعر أنني متيقنا بأن [غالليكا] يجب أن يبحث عنها في المقاطعة الطرابلسية الحالية. فقد حاولت أن أربطها ببعض الشعوب وأسماء الأماكن التي يوجد بها صوت [غال/غال] وتنتهي إلى ذلك الجزء من إفريقيا الشمالية كما ورد عند المؤلفين القدامى من الإغريق واللاتين. حيث توجد على سبيل المثال مدينة جرمانتية مبهمة تدعى [جالا Galla] أو [جالسا Galsa] التي دونها [بليني Pliny] ²⁰⁸ في سجله المشهور حول الشعوب والمدائن التي غزيت من طرف [كورنيليوس بالبوس 19] (L.Cornelius Balbus ق.م) ²⁰⁹ فلم يكن شيء آخر يضاف غير هذا. إلا أن الصيغة الموافقة لـ [كوريبوس] هي [غالليكا Gallica] ²¹⁰. فالعنصر نفسه [غال Gal] يبدو أنه يشترك في تركيب الاسم [كولييا Gulyba] كما ورد عن [بطولومي]. وهي موطن يوجد داخل المقاطعة الطرابلسية حسب هذا الجغرافي. فمفتاح هذا الموقع بالنسبة لأشكال [غال Gal] يتجلى فيما قدمه [فيكتور دو فيتا 486] (Victor de Vita م) الذي أشار إلى أن هذا الموقع كان يسمى بـ [جالس Gales] كنقطة تنتمي إلى [أمونية Ammonia] (واحة سيوى الحالية) ²¹¹ فالاسم [جالس] لا ينطبق على اسم المكان المتعلق بسيوة أو بالجمال المجاور. لكن نجد أثرها في [جالو Galo] المعاصرة وهي الواحة الكبرى في مجموعة أوجيلة. ونحن نعلم كما هو الشأن في العهد القديم زمن [هيردوت] (القرن الخامس قبل الميلاد) أن أوجلة (في المصادر القديمة أوجيلة) ترتبط بالطريق مع واحة أمون. وتنتمي إلى سلسلة من الواحات التي تبتدئ من سيوة الحالية وتمتد باتجاه الغرب ²¹². فلا يعدو أن يكون [فيكتور دو فيتا] الذي حدد [جالس] في أمونية قد اطلع على ثقافة العادات عند [هيردوت].

ولهذا حاولت القبول بالتحديد الإغريقي واللاتيني لـ [غال Gal] مع جالو المعاصرة وأن هذه الأخيرة كان يطلق عليها من طرف اليعقوبي [جالو Galaw] ²¹³. فعندما نحذف النهاية

Nat. Hist. V 5 - 208

Berthelot, p.274-278 - 209

210 - [جالا] و[جالكا] يبدو أن هناك خطأ بالنسبة لـ [جالا Gal(a)] و[جالكا Gal(ica)]. وأن هذا الخطأ بسبب الخلط بين هذه الأعراف مع الإسم المعروف [جاليا/Gallia] في أوروبا.

(Hist.Pers.Afr.Pr.) - 211

Herodotut, IV et 181 A. Berthelot, p. 154-158. - 212

213 - يرجع إلى [ج. ويت G. Wiet] واليعقوبي. البلدان. (ص204). فحسب اليعقوبي فإن [جالو Galu] عبارة عن بلدة صحراوية تقع وسط نخيل مجاورة لـ أوجلة وودان. فهذه التفاصيل تسعى إلى تحديد

[او aw] من هذا الاسم الذي نعتبه من الطوارئ التي حدثت على التطور الأخير للاحقة [يواليا ywalybta] في الليبية كما ورد في كلمة [جاليبيا Galybia] التي ترتبط بالمصطلح [جال Gal] في المصادر القديمة. فكل الصيغتين تشير إلى الصيغة الأصلية [جول Gul] (أو ربما [جول Gal]. مع صوت [ج g] الذي وصف من قبل العرب. بينما كان الإغريق والرومان القدامى كانوا يسمونه [ك g] كما هو معتبر بالنسبة لحالة [جالليكا Gallica] (المذكور سابقاً). فسواء كان المصطلح الأمازيغي [جالو/Galaw] و[جالليكا Gallica] لم يحددا في [كوريبوس]. إلا أنه يحتفظ كما هم الشأن بالنسبة لهذا الأخير بأثر نفس القبيلة الليبية القديمة التي تسمى [جال Gal] التي تحيل على شعب عاش في صحاري المقاطعة الطرابلسية أو في غرب الواحات المصرية ²¹⁴.



جالو الحالية فقط. إلا أنني أميل إلى ربط العرق [Gallica] بالإسم [أوجيلة] أو [aw-Gl(a*)] يعتبر ابنا لـ [Gil(a)] وهو أيضا اسم جبل في الصحراء الليبية يسمى جبل جالوت (الإديسي. 1/131). ابن خلدون (مرجع مذكور. ذكر جالوت من بين أسلاف الشعب الأمازيغي.

214 - اود أن أعبّر عن الإقرار بالجميل لأصدقائي العلماء. [أ. كونست A. Kunst]. الأستاذ المحاضر بمدرسة الدراسات الشرقية و الإفريقية. وكذلك [أ. ولكلنسكي A. Wleklanski] الذي أنا مدين له كثيراً لما قدمه لي من مساعدة خلال كتابة هذا المقال.

	و - إفريقيا والمغرب:
	م - السودان الغربي والأوسط:
	ن - إسبانيا وصقلية:
	العقائد الإباضية:
	الفرق الإباضية:
	عن بعض الأعراف الليبية الواردة في جوهانيس كوريبوس
	1 - [موكتنينا مانوس Muctuniana manus]
	2 - [إفراك Ifurac]
	3 - [غادايا Gadaiae]
	4- [غالليكا Gallica]
	الفهرس

فهرس عام

	مقدمة الناشر
	عبادة الكبش بتونس المسلمة
	جماعة المسلمين بالبصرة ونشأة الإمامات الإباضية
	القسم الأول:
	القسم الثاني:
	الإباضية
	الإباضية:
	التجمعات الإباضية خارج البصرة
	أ - في الكوفة:
	ب - في بقية أنحاء العراق:
	ج - الموصل:
	د - الحجاز:
	ر - وسط الجزيرة العربية:
	ز - حضرموت واليمن:
	س- عُمان:
	ص- إفريقيا الشرقية:
	ع - كيشم:
	ف - الفرس:
	ك - الهند والصين:
	هـ - مصر: